

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة إبن خلدون - تيارت

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

تخصص: تاريخ المغرب الأوسط الوسيط

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر موسومة :

المجرات المملالية و أثرها على

المغرب الأوسط

443هـ - 555هـ / 1052م - 1160م

إعداد الطالبة :

❖ بن محمد الحميد نادية.

اللجنة المناقشة :

مشرفة

❖ 1. : سموم لطيفة

رئيسا

❖ 1. :

مناقشا

❖ 1. :

السنة الجامعية: 2014/2013

مقدمة :

لعب المغرب الإسلامي و لازال، دورا في تاريخ البشرية بعامة و العالم الإسلامي بخاصة، فقد حفل تاريخ هذا الإقليم بالكثير من الأحداث الخطيرة التي كان لها طابعها الخاص نظرا لوضع المغرب الخاص بالنسبة للعالم الإسلامي، و هذا ما جعله يمجج بمختلف التيارات المذهبية و السياسية و جعله ملجأ لكثير من الفارين بمذاهبهم و آرائهم أمام سلطان الخلافة في المشرق، و وجدوا في المغرب الأرض الخصبة لهذه الآراء و الأفكار، و يكفي أن نذكر أن المغرب هو أول جزء من العالم الإسلامي ظهرت فيه فكرة الانفصال السياسي و تجاوزت فيه الدول المختلفة مذهبيا و سياسيا.

و من أهم الأحداث التي كان المغرب الإسلامي مسرحا لها الهجرة الهلالية أو التغريبة الهلالية كما يصطلح عليها أحيانا، و قد كان ذلك في حوالي منتصف القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، إذ تعتبر هذه الفترة -الخماس هجري الحادي، عشر ميلادي- بداية تحول عميق في البنية المغربية عامة، امتدت آثارها إلى اليوم و شمل مختلف جوانب الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، الثقافية، اللغوية و حتى الدينية نتيجة هجرة بني هلال إلى المغرب.

و الهدف من هذه الدراسة "الهجرات الهلالية و أثرها على المغرب الأوسط" هو إبراز أهمية هذا الحدث باعتبار الهجرة الهلالية حدثا تاريخيا و حركة اجتماعية هامة ببلاد المغرب بالنظر إلى النتائج و الآثار المترتبة عنه، و التي شكلت انقلابا جذريا و تتسم حياة البربر بالسماة العربية في الوقت الذي بدا فيه أمراء البربر يستعدون ميراثهم السياسي، و ينفصلون شيئا فشيئا عن السلطة في المشرق.

و من هنا جاء هذا الموضوع بغية التعرف على تاريخ الهجرات الهلالية و أثرها في المغرب الأوسط، خاصة و أن هذا الأثر لم يحظ بالنصيب الوافر من الاهتمامات، فجاء هذا البحث بقصد الكشف عن اثر الهجرة الهلالية و التي جاءت كنتيجة حتمية لدخولهم المغرب فانعكس ذلك بالضرورة على الجانب السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و خاصة الثقافي و اللغوي.

فكان الجدل قائما على معرفة خلفيات و دوافع الهجرة الهلالية و أهم ما ترتب عنها من آثار، و هذا ما جعلنا نطرح التساؤلات التالية :

من يكون هؤلاء الهلاليون؟ كيف دخلوا و استقروا ببلاد المغرب؟ ما هي الأسباب الظاهرة و الخفية لهذه الهجرة؟ ا هي سياسية دينية أم هناك أسباب أخرى؟ و إذا كان العبيديون يعلمون أن هذه القبائل لن تعيد لهم سلطانهم الضائع في المغرب فلماذا لجئوا إليها؟ و هل كان لهذه الهجرة مخلفات و آثار بعيدا عما سطر لها؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا منهجا مبنيا على مادة تاريخية، فكان سرديا تحليليا من جهة حاولنا من خلاله التوصل إلى استنتاجات، و مقارنا من جهة أخرى من اجل مقارنة نتائج و مخلفات هذه الهجرة على المغربيين الأدنى و الأوسط.

و خلال انجازنا لهذا البحث، اعترضتنا عدة صعوبات، من بينها اتساع المجال الجغرافي لموضوع بحثنا —من المشرق إلى المغرب— لما يتطلبه من تتبع لأهم و أدق التفاصيل و التطورات على مستوى العالم الإسلامي عامة و المغرب و افريقية خاصة، هذا ما صعب علينا مهمة البحث و خاصة في الفصل الأخير، كون اغلب المصادر و المراجع التاريخية تتعرض لأثر الهجرة الهلالية بصفة عامة مركزين على المغرب الأدنى باعتباره الأكثر تضررا من هذه الهجرة في مراحلها الأولى.

و لقد لقيت هذه الهجرة اهتمام مجموعة من الباحثين و إن كانت اغلب الدراسات المتعلقة بموضوع الهجرة الهلالية تتحدث عن جميع الجوانب بإسهاب كبير، باستثناء الأثر الناتج عنها إذ يكتفون بذكر القليل عنه، و معظمهم يحملونهم جميع الكوارث التي وقعت بالمغرب في القرن الخامس هجري مهملين دورهم الايجابي الذي بدا يظهر مع مرور الزمن.

و لقد تمت الاستعانة في بحثنا هذا بعض المصادر و المراجع و مجموعة من المجلات و المقالات، فأما المصادر فكان من أهمها :

1. كتاب "العبر المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" في جزئيه الرابع و السادس لمؤلفه عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ-1406م) و الذي أفادنا في مختلف جوانب البحث، و الملاحظ عنه تركيزه على الآثار السلبية للهجرة الهلالية ما جعله يصدر أحكاما قاسية على بني هلال.
 2. "البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس و المغرب" في جزءه الأول لمؤلفه ابن عذارى المراكشي (كان على قيد الحياة في 712هـ-1313م) ، يوفر هذا المصدر مادة تاريخية هامة عن الدولة الفاطمية و علاقتها بمختلف القبائل، كما يؤرخ لقيام الدولة الزييرية و علاقتها مع الفاطميين بشكل دقيق و مستفيض، بالإضافة إلى ضبطه للرواية التاريخية متتبعا المنهج الحولي و كذا تحديده للاماكن الجغرافية.
 3. "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت 630هـ-1234م)، اعتمدنا فيه على الجزء السابع و الثامن الخاص بالفترة المدروسة، فهو يوفر مادة هامة عن بني زييري و الفاطميين خصوصا عنه انتقال مركز الخلافة إلى مصر، كما انه اعتنى بكامل أحداث المغرب جملة و تفصيلا.
 4. "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري، اعتمدنا فيه بالخصوص على الجزء الرابع و العشرين المتعلق بالمغرب الإسلامي، يوفر هذا الكتاب مادة تاريخية عن بني زييري و دولتهم و يقدم معلومات بالغة الأهمية يستحيل العثور عليها في مصادر أخرى .
 5. "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" للمقريزي (ت 846هـ-1442م) ، يعتبر مؤرخ الدولة الفاطمية، و هو على مذهبه السني يتميز بروح موضوعية عالية، تناول فيه الخلفاء الفاطميين و دولتهم و رصد تحولاتها في المغرب و المشرق، به معلومات ذات قيمة تاريخية، خصوصا الروايات التي تتحدث عن استخلاف بني زييري بالمغرب و كذا الغزوة الهلالية ظروفها و أسبابها.
- و إلى جانب مؤلفه هذا، اعتمدنا على مجموعة أخرى لهذا المؤلف أهمها "إغاثة الأمة بكشف الغمة" البيان و الإعراب عما بأرض مصر من الأعراب" أفادتنا في معرفة أحوال مصر الاقتصادية و التي كانت من بين أهم الأسباب التي دفعت بني هلال إلى الهجرة نحو المغرب.

6. "جمهرة انساب العرب" لابن حزم الأندلسي (ت 456هـ-1063م) حيث قدم لنا هذا المؤلف الفضل في نسب بني هلال .

كما تم الاستعانة بمصادر أخرى هي من الأهمية بما كان، منها :

كتب الرحالة و الجغرافيين و لاسيما كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي، بالإضافة إلى ذلك "رحلة التيجاني" المغربي (ت 717هـ-1319م)، و التي قام بها في البلاد التونسية و القطر الطرابلسي، و كتابه يعد وصفا عن بلاد المغرب، يوفر معلومات تاريخية و جغرافية و لاسيما عن المغرب ما بعد الغزوة الهلالية. بالإضافة إلى كتب السير و التراجم، و العديد من المصادر ذات الصلة و التي تتراوح في أهميتها و قيمتها بحسب الموضوع نذكر منها : "وفيات الأعيان و أنباء الزمان" لابن خلكان (ت 608هـ) ، و كتاب "الأعلام" للزركلي.

أما أهم مراجع التي اعتمدت في هذا البحث :

1. "الدولة الصنهاجية من القرن العاشر ميلادي الى الثاني عشر" للهادي روجي إدريس، يعتبر كتابا مرجعيا أوليا حول الدولة الفاطمية و علاقتها بقبيلة صنهاجة، تناول فيه التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني زيري و أهم أحداث الغزوة الهلالية.
2. "الوجود الهلالي السليمي في الجزائر" لمؤلفه عبد الحميد خالدي، و الذي أعطى فيه تفصيلا كاملا عن بني هلال و نسبهم و عاداتهم و أسباب دخولهم إلى بلاد المغرب.
3. "تاريخ الجزائر في القديم و الحديث" لمبارك الملي، تطرق فيه لجميع أحداث الهجرة الهلالية منذ دخولهم إلى بلاد المغرب إلى غاية القضاء عليهم من طرف الموحدين.

و لقد اشتمل هذا البحث عامة على مقدمة و مدخل و ثلاثة فصول و خاتمة، أما المدخل فكان تحت عنوان "أوضاع المغرب قبل دخول الهلاليين" ، و هي الفترة التي تلت انتقال المعز لدين الله إلى مصر و ترك المغرب تحت سلطة بني زيري، حمل خلالها المغرب طابع التبعية للبيديين و التي عرفت نوعا من التفاوت

من عهد "بلكين" إلى "باديس" حتى جاءت القطيعة النهائية في عهد "المعز بن باديس"، و قد كانت على مراحل بداية من القطيعة المذهبية لتتطور إلى قطيعة سياسية، و بين محاولات الفاطميين في استمرار علاقة المغرب بمصر، و لما فشلوا في ذلك عملوا على الانتقام من المعز بإرسال بني هلال و بني سليم للمغرب.

أما الفصل الأول فكان بعنوان "الجدور التاريخية للهجرة الهلالية" و قد خصصناه للتعرف على مواطن بني هلال و بني سليم في شبه الجزيرة العربية و البلاد المفتوحة، مع محاولة التعرف على نسبهم و خصائصهم و مواقفهم قبل الإسلام و بعده، ثم أوضحنا انضمامهم لقرامطة البحرين إلى أن تم تهجيرهم إلى مصر ثم المغرب، مبرزين أهم الأسباب التي دفعت المستنصر إلى تهجيرهم إلى المغرب كمحطة نهائية.

و عنون الفصل الثاني ب: "علاقات بني هلال و بني سليم بدول المغرب" تعرضنا فيه لعلاقة العرب الهلالية بقبيلة صنهاجة ممثلة في دولتي بني زيري و بني حماد، ثم تكلمنا عن علاقة العرب الهلالية بالمرابطين و الموحيدين و اشتراكهم في ثورة بني غانية و جهادهم في الأندلس.

أما الفصل الثالث : و هو من أهم فصول البحث و كان عنوانه "اثر الغزوة الهلالية على بلاد المغرب عامة و المغرب الأوسط خاصة"، و هذه الآثار ظهر بعضها على المدى القريب و البعض الآخر على المدى البعيد، و على مستوى جميع المجالات السياسية ، العسكرية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، و خاصة الثقافية و اللغوية.

ثم انتهى بحثنا بخاتمة للموضوع جمعنا فيها أهم النتائج المستنبطة من الموضوع متبوعة بملاحق و فهارس.

تمكنت الخلافة الفاطمية في عهد المعز لدين الله من تحقيق أعظم انجازاتها السياسية ،و المتمثلة في نشر سلطانها على ديار مصر كلها(1)، فالفاطميون ،و بسبب ارتباطهم بالدعوة الاسماعلية ، كانوا ينظرون إلى المشرق و إلى المغرب، ثم إن الثورات(2) المتوالية ضدهم ،دفعتهم إلى الاختيار بين أن يكونوا دولة مغربية افريقية ،فتنظم نفسها كدولة مستقلة محاولة التقرب من الرعايا بالعدل و التعمير ،وبين أن تكون فاطمية اسماعلية تستغل افريقية لتمويل الدعوة و تجهيز الجيوش و مغادرة القطر في اقرب فرصة سانحة و هذا ما استقر عليه المعز في النهاية .

خاصة و أن الأحوال في مصر كانت مضطربة في الفترة الواقعة بين سقوط الدولة الطولونية (292هـ- 906م) ،و قيام الدولة الاخشدية سنة(323هـ-935م) ، فكثف المعز من اتصالاته بكبار الدولة الاخشدية لإدراكه أن مصر إن لم تسقط في أيدي الفاطميين سقطت لا محالة في أيدي القرامطة (3)، فقام بتجهيز حملة كبيرة بقيادة جوهر الصقلي على مصر في سنة (358هـ-968م) ، تكللت بالنجاح التام و بدأ في التخطيط لبناء مدينة جديدة ،تكون عاصمة الدولة و هي التي سميت بالقاهرة .

1. بوزيان الدراجي، دول الخوارج و العلويين في بلاد المغرب و الأندلس، دار الكتاب العربي ،الجزائر، د.ط. 2007 ص409.
2. أخطرها ثورة صاحب الحمار بقيادة يزيد مخلص الكيدادي ،كادت أن تطيح بالدولة الفاطمية و تدفعها إلى الانهيار، دامت 12 عاما، إلى أن تم القضاء عليها في عهد المعز لدين الله ،و بذلك عاد الاستقرار إلى الدولة بالمغرب محمد صلاح مرمول. السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د.ط. 1993، ص 95 .
- إحسان عباس، مصادر ثورة ابي يزيد مخلص بن كيداد، الأصلة، مج16 منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف تلمسان، 2011، العدد41.
3. فرقة من الاسماعلية تنسب إلى أول دعاة حمدا بن قمرط، و كان هذا الرجل بسيط ،بعثه احد كبار الدعوة الاسماعلية ليدعو نيابة عنه في بلده، فبنى مركز لدعوته قرب الكوفة سماه دار الهجرة و دخل كثير من الناس في دعوته كانت تدعو هذه الطائفة إلى إمامه إسماعيل بن جعفر الصادق ،و قد نجح هؤلاء في إقامة دولة بالبحرين عاصمتها الاحساء. الحسن بن موسى النوبختي، سعد بن عبد الله القمي، فرق الشيعة، تح : عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد ،دم ط.ط. 1. 1992 ،ص81 .

ولما كانت الظروف مهيأة لاستقبال المعز لدين الله في القاهرة، كتب إليه⁽¹⁾ جوهر الصقلي إلى الحضور إلى مصر لتولي شؤونها بنفسه، بعد ثلاث سنوات من دخوله إليها، كانت لازمة للتثبيت من استقرار فتح مصر و ضمان تهدئة الأوضاع في افريقية و المغرب، ففي يوم (21 شوال 361هـ/6 اغسطس 972م) خرج المعز من المنصورية⁽²⁾ إلى قرية سردانية القريبة من القيروان، والتي اتخذها مقرا مؤقتا للإعداد للموكب الخلافي في تحركه نحو المشرق، و انجاز ما كان قد تبقى من الأعمال السياسية و الإدارية الخاصة بأوضاع المغرب و تراتبيه⁽³⁾، على أن اختيار نائب قادر على حكم افريقية و مؤهل لعدم الإخلال بواجب الوفاء للأسرة الفاطمية، قد طغى على تفكير المعز في هذه الآونة، فاستدعى قبل رحيله "جعفر بن علي بن حمدون الزناتي" المعروف بابن الأندلسي صاحب المسيلة⁽⁴⁾ و إقليم الزاب و ابرز زعماء زناته، و عرض عليه أن يتولى أمور افريقية على أن يكون تابعا للفاطميين في مصر و نائبا عنهم.

1. عبد الله العروي، **مجمّل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي للعرب، المغرب، ط207، 1، ص203.
2. كانت تسمى صيرة ، بلد قريب من القيروان و هي من بناء مناد بن يلكين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر ، بيروت، دط ، 1979، ج1 ، ص 39.
3. عبد الحميد سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي (الفاطميون و بنو زيري، الصنهاجيون، إلى قيام المرابطين)**، منشأة المعارف، الإسكندرية ، دط ، 1990 ، ج3 ، ص 279 .
4. أبو جعفر علي بن احمد بن حمدون الأندلسي الزناتي ، صاحب المسيلة ، كان سخيّا كثير العطاء، مؤثرا لأهل العلم قتل بالأندلس سنة 364هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان و أنباء الزمان**، تح، إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، دط، دس ، ج1، ص 360 .

و يبدو أن هذا الرجل كان ذا نزاعات استقلالية، فقد اشترط عليه الخليفة الفاطمي شروط لقبول هذا المنصب تتيح له الاستقلال الداخلي (1) وقال له : «تترك معي احد أولادك أو إخوتك يجلس في القصر و أنا أدبر، و لا تسألني عن شيء من الأموال لان ما اجبيه بإزاء ما أنفقه، وإذا أردت أمرا فعلته ولم انتظر ورود الأمر فيه لبعد ما بين مصر و المغرب، و يكون تقليد القضاء و الخراج و غيره من قبل نفسي».

فغضب المعز لدين الله و قال : «يا جعفر عزلتني عن ملكي و أردت أن تجعل لي شريكا في أمري، و استبددت بالأعمال و الأموال دوني، قم فقد أخطأت حظك و ما أصبت رشداك» (2).

و عقب ذلك استدعى المعز لدين الله بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي - و كان من أكابر رجال كتامة - و عرض عليه الولاية، ولكن بلكين كان ذكيا في رده فقال : «يا مولانا، أنت و آباؤك الأئمة من ولد الرسول صلى الله عليه و سلم ، ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لي، و أنا صنهاجي بربري ؟ قتلني يا مولانا بغير سيف و لا رمح» (3).

استحسن المعز جواب بلكين بن زيري، و رأى انه يخدم مصالح الفاطميين في المغرب و شكره على قوله هذا و عهد إليه بإمارة افريقية و المغرب ، و نزع سيفه و قلده إياه، و سماه اسما عربيا، و كناه بكنية عسكرية (أبو الفتوح) و منحه لقباً ملكياً سيف الدولة (4) .

1. حسن خضير، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب 362-567هـ، مكتبة مديولي، دم. ط. دت. ص 214.
2. المقرني، تقي الدين احمد بن علي، تعاضد الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء، تح جمال الدين الشيال ، مطابع القاهرة القاهرة ، ط2، 1996، ج1، ص 99.
3. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، تر : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت . دط . دت . ج 1 ص 77. محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية - دار الفكر العربي، القاهرة ، دط . 1967 . ص 225.
4. منح المعز لدين الله شؤون افريقية و سائر أعمال المغرب لبلكين ، و احتفظ لنفسه ببرقة و منح صقلية لأبي القاسم علي بن حسن بن علي بن أبي كلي ، و طرابلس لعبد الله بن يخلق الكتامي، عبد الرحمان بن خلدون. تاريخ العبر المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العلمية ، بيروت، ط3، 2006. ج 4. ص 59.

بعد أن اطمأن المعز إلى استقرار الأوضاع في شمال افريقية، خرج من المنصورية يوم الاثنين (21 شعبان 361هـ/7 حزيران 972م) حاملا معه كل أمواله وجثث آبائه الثلاثة، الذين تولوا الحكم قبله، ليدفنها في مصر، كناية عن الرحيل دون التفكير في العودة(1)، و كان آخر ما أوصى به المعز نائبه الصنهاجي بلكين هو ألا يرفع السيف عن البربر، وأن لا يرفع الجباية عن أهل البادية و أن يقلل مع أهل الحاضرة خيرا و لا يول أحدا من إخوانه أو بني عمه(2) .

برحيل المعز إلى القاهرة و مصر، يبدأ عهد جديد في بلاد افريقية والمغرب، يمكن أن يعتبر نهاية لمرحلة من تاريخ الشمال الإفريقي في عصوره الإسلامية في مقابل ما يسمى بالدولة العربية في المشرق، و بداية لفترة جديدة من ذلك التاريخ، وهي العصر البربري – قيام دولة مغربية لحما و دما (3).

هكذا انتهت خلافة العبيدين بالمغرب الإسلامي بعدما دامت حوالي ستة و ستين عاما (66) (296هـ-362هـ) و دانت لهم البلاد من طرابلس شرقا حتى المغرب الأقصى غربا، كما عمدوا على فرض مذهبهم – الاسماعلي – على أهل المغرب إلا أنهم م يتمكنوا من ذلك لجهود علماء المدرسة القيروانية(4) .

1. ابن عبد الظاهر محي الدين أبو الفضل المصري ، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تح : أمين فؤاد سيد ،الدار العربية للكتاب، القاهرة ، ط1. 1996 . ص 14 .
2. ابن الخطيب، أعمال الإعلام فمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، و ما يتعلق بذلك الكلام ، تح : كسره حسن ،دار الكتب العلمية ،لبنان، ط1، دت، ص 320 . عمارة عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة ، الجزائر، دط. 2009. ج 2 .
- ص 25. ابن عماد شهاب الدين عبد الحي بن محمد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح : عبد القادر و محمود الارناؤوط ، دار بن كثير، بيروت، ط 1 ، 1989، ج 4، ص 392 .
3. عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص 285.
4. يوسف بن احمد حوالة ، الحيلة العلمية في افريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح و حتى منتصف القرن 5هـ (90هـ/450م) ، معهد البحوث العلمية ، مكة المكرمة ، ط 1 ، 2000، ج 2 ، ص 86 .

و الواقع أن الزيريين قد انتهجوا نفس السياسة التي انتهجها العبيديون من قبل – على الأقل في بداية ولايتهم – حتى يطمئن المعز على اختياره، فلم يعد لأفريقية في تفكيره السياسي مكان كبير، رغم أنه لم يتنازل قط عن تبعية هذه البلاد لهم، و لكن الظروف الجديدة التي أحاطت بدولة الفاطميين في مصر كانت تحول بينهم و بين إحكام قبضتهم على أفريقية، فقد غرقوا في شؤون مصر و مشاكلها (1).

فعندما دخل المعز و رجاله مصر سنة 362هـ/973م (2) وجدوا أنفسهم في بلد أضخم و أغنى بكثير مما تصوروا، و ذلك ما اقتضى منهم جهدا كبيرا في السيطرة على إدارة كبيرة مستقرة، و هذا كله جعل من المستحيل على الفاطميين أن يوجهوا الاهتمام اللازم نحو شؤون أفريقية و المغرب، فتخلوا مرغمين عن السلطان الحقيقي عليهما، و اكتفى من ولائها بالطاعة الرسمية (3) و في نفس الوقت اخذ استقلال بني زيري في أفريقية و المغرب الأوسط يتحول إلى حقيقة، و لم يعد من الممكن عودتهما إلى التبعية للمشرق .

1. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، دار الرشاد، دم.ط، دط. 2004. ص 153 .
2. جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة ، د.م.ط، د.ط. 1917، ج 2، ص 12.
3. حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 154.

فالمعز لدين الله تمكن من المحافظة على تبعية بني زيري له، لأنه اتبع معهم سياسة ماهرة تضمن له مظاهر تلك التبعية ولا تتعارض مع ما كان بنو زيري يطمعون إليه من استقلال، ثم إن فترة حكمه لم تدم إلا أربع سنوات، فلما مات المعز خلفه ابنه العزيز سنة 365هـ/975م⁽¹⁾، رأى هذا الأخير أن بني زيري يتجهون إلى الاستقلال بصورة ظاهرة أيام أبي الفتح المنصور بن زيري، ففكر و وضع عراقيل في طريقهم، و العمل على إضعاف بني زيري حتى يظلوا دائما في حاجة إلى تأييد الفاطميين، فأرسل داعيا شيعيا اسمه "أبا الفهم" سنة 376هـ/987م لكي يثير قبائل كتامة على المنصور⁽²⁾ و فعلا انضمت إليه جموع منهم و لكن المنصور انتصر عليهم و قتل أبا الفهم⁽³⁾ مما اضطر بالعزيز إلى العدول عن سياسة التدبير التي من وراء الستار، فعاد إلى مصانعة المنصور ومهادنته و كان ذلك سنة 384هـ/994م، وتحسنت العلاقة بين الطرفين⁽⁴⁾.

1. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 163.
2. احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي و الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 2006، ص 318.
3. اقتيد أبو الفهم إلى حريم الأمير، حيث ضرب ضربا مبرحا حتى اشرف على الموت، ثم اخرج أمام الملا وقد بقيت فيه حشاشه من روح فنحره، وشق بطنه و اخرج كبده فشويت و أكلت، كما شرح عبيد المنصور من السودان لحمه و أكلوه حتى لم يبقى إلا عظامه ، و كان ذلك يوم 3 صفر 378هـ/23 ماي 988م. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولان، ليفي برونسسال، دار الثقافة، بيروت، ط 1980، ج 1، ص 244.
4. جورج مارسيه ، بلاد المغرب و علاقتها بالشرق الإسلامي خلال العصور الوسطى ، تر : عبد الصمد هيكل، مر : مصطفى أبو ضيف احمد، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د ط ، 1991م ، ص 170.

و عندما تولى الحاكم بأمر الله، ثالث الخلفاء الفاطميين في مصر، كان عرش بني زيري قد انتقل إلى نصير الدولة باديس 386-406هـ/996-1015م و هو أيضا ثالث أمراء بني زيري ، فأراد الخليفة الفاطمي اختبار قوة نصير الدولة، فأرسل إليه واليه على برقة "يانس الصقلي" - كانت جزءا من مصر - يأمره بالاستيلاء على طرابلس - كانت جزءا من ولاية إفريقية - وبالفعل استولى والي برقة على طرابلس(1)، لكن نصير الدولة باديس هزمه و أخرجته من البلاد، و عاد الحاكم بأمر الله فحاول أن يعطي طرابلس للزناتيين أعداء الصنهاجيين، فعهد إلى "فلفل بن سعيد المغراوي" الزناتي في دخول طرابلس و حكمها، و لكن باديس تمكن من القضاء عليه (2).

مما دفع بالخليفة الفاطمي إلى العودة و مصانعة باديس و استرضائه(3)، و لكن الأمر سيتغير عندما يتولى "المعز بن باديس" (4) في ذي الحجة 406هـ/مايو 1076م ، و هو ابن ثماني سنوات (8 سنوات) (5) فتولت عمته "أم ملال" الوصاية عليه، كما سيطر عليه معلمه و مريه "الحسن بن علي بن أبي الرجال" (6)، و بدا الفتور واضحا في العلاقات بين الطرفين، فالمعز لم يخف نزعته الاستقلالية عن الفاطميين، و محاولاته إلغاء المذهب الشيعي (7).

1. عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، رحلة التيجاني، تح: حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، دط، 1958. ص 182 بشير رمضان التلسي. الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري، العاشر ميلادي، المدار الإسلامي، لبنان ، ط 1 ، ، 2003. ص 174 .
2. إضافة إلى حروبه الكثيرة مع زناتة، قامت حروب بينه و بين أعمامه انتهت باستقلال عمه حماد بالمغرب الأوسط، و بنائه القلعة و اتخاذها عاصمة له و بذلك قامت دولة بني حماد، ابن عذارى ، المصدر السابق، ص 249 . ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6 ص 186، رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، وزارة الثقافة، الجزائر، دط ، 2007 . ص 36 .
3. محمد سهيل طقوس ، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ، دار النفائس، لبنان ، ط 1، 2001، ص 36 .
4. صاحب إفريقية ، المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي المغربي شرف الدولة، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط 1996، ج 1، ص 140 .
5. يذكر ابن عذارى أن عمر المعز بن باديس لما ولي الحكم كان ابن الثمانية أو السبعة أعوام، أما ابن أثير فيرجع أن عمره كان إحدى عشر سنة. ابن عذارى، المصدر السابق، ص 271، ابن الأثير، الكامل في التاريخ 389-428هـ، تح: محمد يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1995 ، ج 7 ، ص 345 .
6. الحسن بن أبي الرجال الشيباني المغربي القيرواني، تواجد على بلاط المعز بن باديس، على رأس الكتابة و الإنشاء ، ثم اتخذها عالما فلکیا و أدبیا و شاعرا و من أئمة المذهب المالكي ، صمد هو و تلاميذه ضد أباطيل الشيعة . ابن الآبار، اعتاب الكتاب تح: صالح الاشير ، المطبعة الهاشمية، دمشق ، ط 1 ، 1961 ، ص 214 .
7. يوسف أحمد حوالة ، الرجوع السابق ، ص 88 .

و أول حدث ميز حكمه، كان قتل الشيعة بجميع بلاد افريقية سنة 407هـ/1016م، وقد اختلفت الأسباب في ذلك :

فيذكر ابن عذارى(1): « أن المعز خرج في بعض الأعياد إلى المصلى في زينته و حشوده و هو غلام، فكبا به فرسه، فقال عند ذلك : «أبو بكر وعمر»، فسمعتة الشيعة التي كانت في عسكره، فبادروا إليه ليقتلوه، فجاء عبيده و رجاله و من كان يكتنم السنة من أهل القيروان ، و وضع السيف في الشيعة في موضع يقال له "درب المعلى" .

فقتل منهم ما يزيد عن ثلاثة آلاف، و جرى الدم غزيرا، حتى تخطى بقعة كبيرة من الأرض، أطلق عليها فيما بعد اسم "بركة الدم"(2).

و مع كل ما قام به "المعز بن باديس " للقضاء على الشيعة ، فان الخليفة الفاطمي الحاكم تغاضى عن ذلك ولم يحاول أن يستثيره أكثر مما فعل ، بل كان يحرص على استرضاء المعز، ففي أواخر سنة 407هـ/1016م وصل إلى المعز بن باديس سجل من الحاكم خاطبه فيه بشرف الدولة (3) .

بعد منحة الشيعة بافريقية و بلاد المغرب، شهدت المنطقة نوعا من الهدوء، فحظي المعز بثقة الخليفة الفاطمي، إلا أن هذا الهدوء المؤقت الذي دام عشرين سنة سينفجر بعد حين، فالخلافة الفاطمية دخلت في أزمة كبيرة بعد وفاة الحاكم بأمر الله في 411هـ/1020م في ظروف غامضة (4) .

1. ابن عذارى، المصدر السابق، ص271، ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص144.

2. جورج مارسيه، المرجع السابق، ص191 .

3. ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في تاريخ افريقية و تونس ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، ط1، د.ت، ص81 .

4. يتضح لنا من عدم معاتبة "الحاكم بأمر الله" للمعز بن باديس لتكيله بالشيعة ذلك أن العبيدين لم يكن همهم بقاء أهل المغرب على مذهبهم ، بقدر ما كانت تهمهم التبعية السياسية لحباية الأموال.

5. العروي ، المرجع السابق ، ص 338 .

خلفه بعد ذلك ابنه الظاهر الذي ساعده على إدارة أمور دولته، وزيره الجرجاني، و استمر الوضع إلى غاية وفاة الخليفة الظاهر 427هـ/1036م، فخلفه المستنصر الذي لم يكن يتجاوز ثمانية سنوات و في عهده شهدت العلاقة مع القيروان مزيدا من التوتر(1)، وصلت إلى حد التلاسن بالكلام بين المعز و الخليفة الفاطمي، و قد ذكر التيجاني(2) أن المعز بن باديس كان يكتب الجرجاني، داعيا إياه لخلع الطاعة عن الفاطميين .

و قبل القطيعة مع القاهرة، كانت هناك مذبحة نفطة (3) في سنة 423هـ/1091م، ذهب ضحيتها ما كان بها من الشيعة .

اقترب موعد الدعوة للخلافة العباسية، و لكن المؤرخين لهم تواريخ (4) مختلفة تمتد من سنة 433-449هـ/1041-1051م فقد ذكر ابن عذارى أن المعز اظهر في سنة 433هـ الدعوة للعباسيين و رد عليه الخليفة القائم بأمر الله العباسي، واتبع هذه الحركة بقطع الخطبة للخليفة المستنصر، وبحرق بنوده الخضراء (5) و يذكر النويري، أن المستنصر كتب إلى المعز يتهدده بقوله : « هل اقتفيت آثار من سلف آبائك في الطاعة و الولاء» و يتوعده بإرسال الجيوش ، فكتب المعز إليه قائلا : « إن أبائي و أجدادي كانوا

-
1. محمد سهيل طقوس ، المرجع السابق، ص 227 .
 2. التيجاني ، المصدر السابق، ص 19 .
 3. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 205.
 4. هناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد سنة القطيعة، فقد ذكر ابن الأثير أنها سنة 435هـ بينما يحدد ابن خلدون تاريخ هذا الحدث في سنة 437هـ، و النويري يذكر أن الدعاء للعباسيين كان سنة 430هـ. أما ابن عذارى فيرجعها إلى سنة 433هـ، و لكنه لم يأمر بقطع الخطبة للعباسيين و لعنهم إلا في سنة 440هـ ، و بعبارة أخرى فقد ظل الموقف مائعا قرابة 7 سنوات دون ان يصدر أي رد فعل عملي من الفاطميين، الذين كانوا يرون في احتفاظ الزيريين بأعلامهم و استمرار الدعوة لهم على المنابر بصيغا من الأمل ولكن هذا لم يحدث فسرعان ما أمر المعز بإسقاط أسماء العبدین سنة 440هـ. ابن الأثير، المصدر نفسه ، ص 265. ابن خلدون المصدر السابق، ج 6، ص 17. النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح :مصطفى أبو ضيف احمد، دار النشر المغربية،الدار البيضاء، دت ، ج 24، ص 116 . ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 275 .
 5. ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ص 276 .

ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك، و لهم عليهم من الخدم، أعظم من التقديم و لو أخروهم لتقدموا بأسيا فهم» (1).

و أمام تهديد "المستنصر بالله" للمعز، كان من الطبيعي أن يتحداه المعز، فأمر بلعن الفاطميين على المنابر، و احرق بنوده و محاسمه من الطرز و السكة (2).

و مع ذلك كله لم يكن المعز قد تسرع في تغيير لون أعلام الفاطميين، فقد ظل محافظا على الشكليات إلى أن تولى الوزارة "محمد الحسن بن اليازوري" سنة 442هـ (3)، فاشتد الخلاف بينه و بين المعز إذ كان يخاطبه دون ما كان يخاطب به الوزراء قبله (4).

و كان لهذه الخصومة الجديدة أثرها في قيام المعز بإعلان انفصاليه الروحي و السياسي نهائيا عن الخلافة الفاطمية. فأرسل رسولا إلى بغداد ليستحضر له الخلع و اللواء، واستجاب الخليفة العباسي لرغبته (5) فأرسل إليه "أبا غالب الشيرازي" رسولا من قبله و معه العهد و اللواء الأسود، فمر في طريقه ببلاد الروم، فقبض عليه الإمبراطور البيزنطي، و أرسله مع ما كان يحمله هدية إلى القاهرة، فأمر المستنصر بإحراق العهد و اللواء في حفرة (6) فاستعاض "المعز بن باديس" عن اللباس الأسود بثياب بيضاء أمر بإخراجها من فندق الكتان بالقيروان و صيغها باللون الأسود الحالك و جمع الخياطين و أمرهم بقطعها أثوابا، ثم جمع الفقهاء و القضاة

1. النويري، المصدر السابق، ص 342.

2. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 188.

3. محمد الحسن بن اليازوري، لقبه المستنصر الوزير الآجل، المكين سيد الوزراء و تاج المؤمنين، النويري، المصدر نفسه، ص 342.

4. يرجع السبب في ذلك إلى أن اليازوري لم يكن من أهل الوزارة، إنما كان من أهل التبانة و الفلاحة. ابن الأثير، المصدر نفسه، ج 8 ص 295.

5. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 391.

6. السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير (العصر الإسلامي)-دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1981م، ج 2، ص 633.

إلى قصره و خطيبي القيروان و جمع المؤذنين و كساهم ذلك السواد(1) و انصرفوا إلى الجامع، ثم صعد الخطيب وخطب خطبة أتى فيها على جميع الأمراء بأجزل لفظ وأحسن معنى، ثم أخزى بني عبيد و لعنهم(2).

لم تقف الخلافة الفاطمية مكتوفة الأيدي أمام هذا الانفصال السياسي و المذهبي، بيد أن الضعف الذي أصاب دولة الخلافة، نتيجة لما انتاب مصر من فتن و مجاعات و التخوف من مغامرة عسكرية في افريقية غير محمودة العواقب، جعلها عاجزة عن التدخل المباشر (3).

فرأى الوزير اليازوري أن يقنع الخليفة الفاطمي "المستنصر" بنقل عرب بني هلال إلى افريقية، و تحقيق هدفين في نفس الوقت، الأول تخليص البلاد منهم والثاني إطلاقهم على افريقية للقضاء على الدولة الزيرية(4).

أرسل الوزير اليازوري رسوله مكين الدولة أبو علي الحسن بن علي بن ملهم العقيلي إلى الصعيد لإقناع العشائر الهلالية، فبدأ بإصلاح الخلافات بين زغبه و رياح، و حمل إلى مشايخهم الأموال و انعم على سائرهم ببيعير و دينار لكل واحد منهم(5)، و وعدهم بالعدد و المدد، و أذن لهم بالسير إلى افريقية، حيث أقطعهم افريقية و المغرب و ملك المعز بن بلكين الصنهاجي، نكاية في المعز الذي سماه العبد الآبق (6).

1. المقرئزي، اتعاط الحنفا، المصدر السابق، ج2، ص 144.
2. ابن عذارى، المصدر السابق، ص 277.
3. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 166.
4. قيل أن الذي أشار بذلك و ادخل العرب الهلالية إلى افريقية، إنما هو أبو القاسم الجرجاني و ذلك غير صحيح، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 17.
5. التيجاني، المصدر السابق، ص ص 17، 18. ابن عذارى، المصدر نفسه، ص 288. ضيف الله محمد الأخضر، محاضرات في الحضارة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1982م، ص 127.
6. حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته (من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر)، العصر الحديث للنشر و التوزيع، لبنان، ط2، 1983، ج1، ص ص 45، 46.

شريطة أن يحلف كل أعرابي انه سيعامل الأمير الثائر معاملة العدو، فكان ذلك، و عبر نحو عشر قبائل عربية أي نصف سكان صحراء الجزيرة العربية، كان عدد الرجال المحاربين يناهز خمسين ألفا، و لا يكاد يحصى عدد النساء و الأطفال(1).

و أنفذ اليازوري كتابا إلى المعز بن باديس يقول فيه : «أما بعد، فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا، و حملنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا»(2) و عبر بعدها عرب النيل إلى برقة (3).

-
1. حسن بن محمد بن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر : محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2 ، 1983 م ج1 ، ص 45.
 2. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 296. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 17. النويري، المصدر السابق، ص 343 الناصري أبي العباس شهاب الدين احمد بن خالد بن حماد الناصري، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2007 م، مج1 ، ص 290 .
 3. مسعود مزهودي ، جيل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (21-442هـ) (642-1053م) ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، د.م. ط ، دط ، 2003م ، ج2 ، ص 191 .

تمهيد :

حافظ الملوك الأوائل لبني زيري على تلك التبعية السياسية لخلفاء "المعز لدين الله" بالمشرق، في المقابل لم يتمكنوا من المحافظة على التبعية المذهبية، إذ بدأ أهل المغرب يتحللون تدريجيا من الانتماء الاسماعيلي، لتقلب الدائرة مستقبلا في عهد "المعز بن باديس" الذي بادر نحو المرحلة الأولى للانفصال في حادثة التكنيل بالشيعة التي كانت بداية عهده، و لان العبيديين لم يكن همهم الولاء المذهبي تجاوزوا هذه الحادثة، فلو أثرت من قبلهم لحدث الانفصال من وقتها، و الذي سيظهر بالشكل الرسمي سياسيا و مذهبيا بعد حوالي ثلاثين سنة من حادثة التكنيل بالشيعة.

فبعد إعلان القطيعة سيعرف المغرب الإسلامي تحولا جديدا بدخول العنصر العربي بكثرة، و سيؤدي هذا إلى تغيير الخريطة السياسية للمغرب.

المبحث الأول : نسب بني هلال

تعد الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب الإسلامي فاتحة لعهد جديد في حياة هذا الإقليم، إذ امتزج العنصر البربري بالعنصر العربي، و تكون من ذلك نسيج اجتماعي متين، طغت عليه الصفة العربية التي كانت محط إعجاب و فخر سكان تلك البلاد، و يتضح ذلك جليا من خلال حرص حكام البلاد المذكورة على التأكيد على نسبهم العربي، و هو شرف لا يعلوه شرف آخر كيف لا و الله سبحانه و تعالى قد اختص امة العرب بشرف حمل الرسالة الإسلامية.

تنقسم امة العرب عامة إلى قسمين «عدنان و قحطان»⁽¹⁾ ثم ينقسم كل منهما إلى شعبين عظيمين، فأما عدنان و هم ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فينقسمون إلى ربيعة و مضر، و أما قحطان و هم اليمانية ذرية قحطان بن عابر بن ارفشد بن بسام بن نوح عليه السلام فينقسمون إلى حمير و كهلان⁽²⁾.

ثم يتشعب كل من هذه الشعوب الأربعة إلى قبائل و عمائر و بطون و أفخاذ وفصائل لا حصر لها، و قد كانت الجزيرة العربية موطن اغلب القبائل العربية، و كانت العلاقة بين هذه القبائل تحدد حسب ما تمليه الظروف و المصالح⁽³⁾ و من هذه القبائل بنو هلال⁽⁴⁾.

1. ابو محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، مؤسسة المعارف، لبنان، ط2، 2005، ص9، الناصري المصدر السابق، ص288.

2. عماد الدين إسماعيل أبي الفداء، المختصر في تاريخ البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط1، دت، ج1، ص99. ابي جعفر عبد الولي البتي البلسني الأندلسي، تذكرة الألباب بأصول الأنساب، تح: محمد المهدي المشوني الخرسني، مؤسسة المواهب للطباعة و النشر، ط1، 2001، ص- ص، 63- 115.

3. الناصري، المصدر نفسه، ص288، عبد الحميد الخالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة، الجزائر، دط، 2007، ص7.

4. بطن من بن عامر بن صعصعة، من هوزان من قيس عيلان، يقدر عددهم بألفي بيت، يعملون في الزراعة و الملاحة النهرية. جابر جليل المانع، الاحواز قبائلها، أنسابها، أمراؤها، شيوخها، أعلامها، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط1، 2008، ص86.

و يطلق اسم الهلاليين على العرب الذين هاجروا إلى افريقية كمحطة أولى خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، و هم مجموع القبائل المتحالفة أو التي أجبرت على التحالف لسبب ما، و عرفوا باسم الهلاليين «لان الرياسة كانت عند دخولهم للاتباع و هلال فادخلوا فيهم و صاروا مندرجين في جملتهم من باب إطلاق الخام على العام (1).

و الموطن الأصلي لمجموعة القبائل هذه يبدأ من غرب واحة تربة(2)، و الذي يمتد نحو الشرق مارا بـ "رينه" (3) إلى الأراضي المرتفعة جنوب طريق الرياض - مكة.

ينتمي العرب الذين دخلوا افريقية إلى ثلاث قبائل و هي " بنو هلال - الهلالات - بنو سليم، بنو معقل(4)" و أن بني هلال و بني سليم قبائل تنتمي إلى الفرع العدناني الشمالي(ما يسمى بعرب الشمال) و قد ذكر ابن خلدون ضمن القبائل المسماة بالعرب التابعة و هي الطبقة الثالثة من العرب المستعربة، و قد تعرض النسابة و المؤرخون العرب لهذا الموضوع و تحدثوا عن كل قبيلة من هذه القبائل على حدى (5)».

1. بوخالفة عرى، تغريبه بني هلال بين التاريخ و الروايات الشفهية الهلالية الجزائرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر ، سنة 2002- 2003 ، ص 73 .

2. منطقة تقع جنوب شرق الطائف، وهي من ارض نجد على مسافة يومين من مكة، عبد الحميد خالدي. المرجع السابق، ص، ص 9، 10.

3. قرية من حد تبالة، يسكنها بني حقييل و هي قرب بيشة، و بيشة من ارض نجد و هي قرية على شكل واحة و تقع في الطريق الذهاب من اليمن الى مكة .المرجع نفسه ، ص 10 .

4. الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 48.

5. ابن خلدون، المرجع السابق، ص 15. راضي دغفوس، دراسات في التاريخ الإسلامي العربي الوسيط، دار الغرب الإسلامي، لبنان ط1، 2005 م، ص 32 . منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العراق قبل الإسلام "تاريخ الدول الجنوبية في اليمن"، جامعة البصرة، بغداد ، د.ط ، 1980 م ، ص 139 .

أما نسب بني هلال الذين اتجهوا إلى الغرب فجدهم الذين ينسبون إليه هو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان(1) ، و من بطون عامر : بنو هلال بن عامر بن صعصعة(2) ، و يتحدث ابن الحزم عن هذا النسب عندما يقول « هؤلاء بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن خضر (3) ».

و يقول خير الدين الزركلي في نسبهم « هلال بن عامر بن صعصعة من هوزان عدنان(4) » و يمكن التوقف عند هذه التعاريف محاولين التعرف على بطون هذه القبيلة النازحة إلى المغرب، و في هذا الإطار يتحدث الزركلي، فيذكر أن أسماء تلك البطون ترجع إلى هلال الجد المشترك للقبيلة و الذي أنجب خمسة أبناء كل واحد منهم جد لأحد بطون القبيلة و هم : «شعبه، ناشرة، نهيك، عبد مناف، عبد الله و لهم بلاد أسوان من الديار المصرية(5) » .

1. أبو جعفر محمد بن حبيب، مختلف القبائل و مؤلفها، تح : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دط، دت ، ص 47 .
2. هشام أبو المنذر محمد بن السائب الكلبي ، جمهرة النسب لابن الكلبي، تح : محمود فردوس العظم ، دار اليقظة العربية، دمشق دط، دت ، ص 89 .
3. محمد بن علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب، مر :عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1 ، 2007 م، ص 269. القلقشندي أبي العباس احمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1 ، دت ، ص 392 . السويدي أبو الفور محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم بيروت، دط ، دت ، ص 42 . محمد بن أبي عثمان الهمداني، عجالة المبتدي و فضالة المنتهي في النسب، تح : عبد الله كنون ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دم ط، ط 2، 1973، ص 125 . ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص 475 .
4. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب المستعربين و المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت ، ط 15 ، 2002 ، ج 8 ، ص 91 .
5. خير الدين الزركلي ، المصدر نفسه، ص 251 . ابن الكلبي ، المصدر نفسه، ص 89 ، حيث يضيف أبناء آخرين و هم : صخر، معيشة ، عائذة ، رؤيبة .

و يشمل هذا الشعب على عدد كبير من القبائل(1) منها ما ينتمي إليه حقيقة بالنسب (2)و بعضها نسبة في غيره و لكنه محسوب منه، و بذلك أصبح لها بطون و أفخاذ كثيرة لترتفع من رتبة القبائل إلى رتبة الشعوب و على ذلك يمكن حصر شعوب بني هلال فيما يلي :

1) الاثبج : ويقول فيهم ابن خلدون « كان هؤلاء الاثبج من الهلاليين أوفر عددا أو أكثر بطونا» ومن بطون الاثبج الكثيرة، نذكر تلك التي كان لها وجود مؤثر في افريقية خلال القرن الحادي عشر ميلادي(3):

أ- دريد : و هم اعز قبائل الاثبج و عرفوا باسم رئيسهم الذي دخل بهم افريقية و هو "الحسن بن سرحان بن وبرة" و المناطق التي نزلوا بها بالمغرب ما بين بلاد العناب إلى قسنطينة(4) .

ب- كرفة: و كان لهم جمعا و قوة، كانوا أحياء غزيرة من جملة الهلاليين الداخلين لافريقية، كانت مواطنهم جبال الاوراس من الجهة الشرقية، و ينسب إلى الاثبج كذلك لطيف، العاصم، العمور(5) .

1. يتحدث ابن الأثير عن بني هلال فبنوه بكثرتها و كثرة مال أنجبته من علماء فيقول: «الهلالي بكسر الهاء نسبة إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوزان ، قبيلة ينسب لها كثير من العلماء» ابن الأثير، الباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى ، بغداد، دط دت، ج3 ، ص 396 .

2. يتحدث البلسني الأندلسي عن بني عبد الله بن هلال فيقول فيهم : « فيهم اشرف و من ذريته الأخوات الخمسة المشهود لهم بالجنة : أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، لبابه أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب، لبابة الكبرى زوجة الوليد و أم خالد بن الوليد و عزة و حميدة بنتا الحارث».البلسني الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 96 .

3. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 27. ابن حزم، المصدر السابق، ص 275.

4. سعد الحافي، جريدة الرياض، ع 14180، 21 ابريل 2007، مؤسسة اليمامة الصحفية.

5. ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ص 27 .

- Hichem Djaït , Mohamed Tabi et d'autre , **Histoire Général de la Tunisie(le moyen âge)** , sud éditions , Tunis , tome 2 , P 309 .

(2) **جشم** : و هم جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان، نقل الموحدون جمهورهم إلى المغرب الأقصى و أسكنوهم بسيط تامسنا و الحوز ما بين سلا و مراكش، و لها بطون كثيرة منها "بنو جابر بن جشم" الذي يقول عنهم الناصري أنهم كانت لهم شوكة، من مواطنهم نذكر سفح جبل تادلة و يبتعدون أحيانا إلى البسيط(1)، كذلك منهم "الخلط" و يذكرهم ابن خلدون بقوله : « هذا القبيل يعرف بالخلط و هم في عداد جشم هؤلاء، لكن المعروف أن الخلط بنو المنتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب كلهم شيعة للقرامطة بالبحرين» و لقد استقروا في المغرب و خاصة بسائط تامسنا، و عرفوا بكثرة العدد و قوتهم، و من الذين تولوا الرئاسة عليهم شيخهم "هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج" (2) .

(3) **رياح** : من اعز قبائل هلال و أكثرهم جمعا عند دخولهم افريقية، و ينسبون إلى "رياح بن ربيعة بن هلال بن عامر" تولى الرئاسة عنهم "مؤنس بن يحيى" (3).

1. الناصري، المصدر السابق، ص 288. الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص 247.

2. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 35.

3. النويري، المصدر السابق، ص 343 .

4) **زغبه** : "هذه القبيلة إخوة رياح"، كانت لهم كثرة عند دخولهم افريقية، و تغلبوا على نواحي طرابلس و قابس، تشمل على قبائل كثيرة منها : بنو يزيد الذين نالوا العناية من الدول، إذ قطعوهم التلول و الضواحي وعن مواطنهم يذكر ابن خلدون أن الموحدون أنزلوهم ارض حمزة في بجاية(1).

و مما يعرف عن بني هلال أنهم كانوا يقطنون نجد(2) و الحجاز و حول مكة المكرمة، و في بسائط الطائف ما بينه و بين جبل غزوان (3) و أقاموا بالشام، و بقايا بني هلال بن عامر في جزيرة العرب يقيمون اليوم في تهامة على ساحل البحر الأحمر إلى الغرب من آبها في المملكة العربية السعودية (4).

و كل هذه التنقلات كانت طبيعية بالنسبة لحياة القبائل العربية، نظرا لظروف العصر، فبنو هلال كانوا بدوا رحلا، و كانت تنقلاتهم بدافع البحث عن المراعي التي تحتاجها مواشيهم (5)، و يقول عنهم ابن خلدون : « ربما كانوا يطوفون رحلي الشتاء و الصيف أطراف العراق و الشام»(6).

1. ابن خلدون، المصدر السابق، ص، ص 48،49.

2. اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة و أسفلها العراق و الشام، و يقال أن نجد كلها من عمل اليمامة. ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج 5 ، ص 262 .

3. الجبل الذي على ظهره مدينة الطائف. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج 4، ص 202.

4. عر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة، المكتبة الهاشمية، دمشق، دط، 1949م، ج 3، ص 1221. عبد الحكيم الوائلي ، موسوعة قبائل العرب ، دار أسامة، الأردن، ط 2009، 3، ج 6 ، ص 2528 .

5. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي ، مكتبة مديولي ، القاهرة ، ط 1، 1994، مج 3، ص 274. راضي دغفوس المرجع السابق ، ص 36 .

6. ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج 6 ، ص 16 .

و يذكر ابن هشام (1) أن الرسول صلى الله عليه وسلم، تزوج من قبيلة بني عامر و من بطنهم بني هلال أكثر من غيرها من القبائل الأخرى، فنذكر منهم "زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة" عرفت في الجاهلية و في الإسلام بأُم المساكين، و هي الزوجة الرابعة بعد أُم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب (2).

و تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هزم بن رويبه بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، سنة سبع في عمرة القضاء (3).

و هذا لشرف عظيم لهذه القبيلة، فقد أعطاهما مكانة مرموقة بين القبائل و زادها شرفا و رفعة حينما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه القبيلة عندما جاءت في عام الوفود لتدخل في الإسلام «مرحبا بكم انتم مني و أنا منكم» (4).

II. بنو سليم : بنو سليم هم من قيس عيلان، و هو ولد سليم بن منصور ابن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان و إليه يرجع كل سلمي، كانت مواطنهم الأولى - في الجاهلية و صدر الإسلام - بعلية نجد (5).

1. ابن هشام، المصدر السابق، ص 734.

2. عبد الحميد خالدي، المرجع نفسه، ص 42.

3. القلقشدي، فلاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الايباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1982 م، ص 117. السويدي، المصدر السابق، ص 42.

4. عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 40.

5. المقرئ، البيان و الإعراب عما يأرض مصر من الأعراب، ص 39. القلقشدي، المصدر نفسه، ص 123.

بالقرب من وادي خيبر بحارة سليم، و حارة النار و وادي القرى و تيماء، ثم ارتحلوا إلى الحجاز بجانب المدينة (1) و ظلوا مقيمين هناك، إلى أن ظهر القرامطة بعمان و البحرين فمالوا بالانحياز إليهم و صاروا من جندهم، و لما ضم القرامطة الشام إلى ملكهم انتقل السليميون و الهلاليون إليها ، و ظلوا بها إلى أن قضى الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار على القرامطة سنة 368هـ، و استولى على الشام و نقلوا أشياعهم فأنزلوهم بصعيد مصر في العدو الشرقية من النيل (2).

و يعد بنو سليم (3) الشعب الثالث من الشعوب الداخلة إلى المغرب، و لم تظهر هذه القبيلة على صفحات التاريخ إلا في منتصف القرن السادس ميلادي، و لم يدخلوا المغرب حتى تمكن إخوتهم الهلاليون و المعقليون من ناصيتهم و استولوا على حواضره و بواديه، و يتفرع السليمانيون الى أربعة فروع و هي : زغب ، عوف ، ذياب ، هبيب (4).

1. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص-ص 15-16. الناصري، المصدر السابق، ص 288.
2. الناصري، المصدر نفسه، ص 289. رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه و ثقافته**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دط 1968 ، ص 192 .
3. كانوا يغيرون على الضواحي و يفسدون السبيل، و يقطعون الطريق ، و كان بنو سليم يغيرون على الحجاج ايام الموسم في مكة و ايام الزيارة في المدينة المنورة. ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 16 . سعدون نصر الله ، **تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار النهضة العربية ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص 233 .
4. المقرئزي ، **البيان و الإعراب**، المصدر السابق ، ص 30 . ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ص 84 .

III. المعقل : إن القبائل المعقلية أو بني معقل، لا ينسبون إلى بني هلال و بني سليم، و إنما يشتركون معهم في التغريبة، إذ أن بني المعقل دخلوا معهم المغرب في القرن الخامس هجري و يعدون من أوفر قبائل العرب ، و أما عن المواطن التي استقروا بها بقفار المغرب الأقصى(1).

و عن نسبهم اختلف النسابة في ذلك و على سبيل الذكر، يذكرهم ابن خلدون بالقول :«و أما أنسابهم عند الجمهور فخفيفة و مجهولة، و نسابة العرب يعدونهم من بطون هلال و هو غير صحيح...و الصحيح و الله اعلم من أمرهم أنهم من عرب اليمن»(2).

أما بطونهم فهي ثلاثة : ذوي عبيد الله، ذوي منصور و ذوي حسن، دخلوا المغرب الأقصى مع بني هلال في أعداد قليلة، يقال أنهم لم يبلغوا المائتين، و نزلوا مما يلي ملويه و رمال تافيلات و جاوروا زناته في القفار، و كانوا أحلافا لزناته(3).

1. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 69. الناصري، المصدر السابق، ص 298.

2. ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص 70 .

3. حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 49 . مارمول كرنخال، إفريقيا ، تر : محمد حجي و آخرون، مكتبة المعارف ،المغرب، دط ، 1980 ، ج1 ، ص 109 .

المبحث الثاني : مسار بني هلال من المشرق إلى المغرب -مواطنهم-

تعددت مواطن قبائل بني هلال عبر التاريخ فكانت لها مواطنها في شبه الجزيرة العربية في الجاهلية ثم مواطن أخرى بعد ظهور الإسلام، و هكذا أثرت الأحداث و التحولات التي عرفتتها جزيرة العرب في تغيير مواطنها(1).

و أول ما يعرف عن مواطن تلك القبائل أنها كانت تقطن الجزيرة العربية ثم هاجرت إلى الشام و العراق و مصر و منها انتقلت إلى المغرب(2).

و كنا قد ذكرنا سابقا أن قبائل بنو سليم كانوا مقيمين قبل ظهور الإسلام في نجد و هذه المنطقة كثيرة الأودية و الهضبات اشتهرت بندرة أمطارها و اعتدال مناخها(3)، وعن ذلك يتحدث ابن خلدون « كانت بطون هلال و سليم من مصر لم يزالوا بادين منذ الدولة العباسية و كانوا أحياء ناجعة بمجالاتهم من قفر الحجاز بنجد»(4).

و قد كانت هذه القبائل في أغلبها بدوية ظاعنة تنتقل بين البصرة و مكة من ناحية، و مابين مكة و يثرب من ناحية أخرى، و كان بنو سليم يسكنون عالية نجد قرب خيبر في أماكن تسمى الحرة مثل حرة بني سليم(5).

و كانت أماكن الهلاليين و أوديتهم و مياههم شائعة مثل بشه و تربة و وادي جلدان و مياه البقعاء .

5. إبراهيم بيضون، الحجاز و الدولة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1995، ص 52.

6. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، د.م.ط، دط، 1972، ج4، ص ص، 18، 19.

7. الرازي دغفوس، المرجع نفسه، ص 36.

8. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 15.

9. إبراهيم بيضون، المرجع نفسه، ص 51، الرازي دغفوس، المرجع نفسه، ص 36.

كما كان لسليم و هلال مواطن في العراق، و من ذلك أن مجموعة منهم اتخذوا لهم محلة بوادي الكوفة حوالي 120هـ، و كان هذا المكان يعرف بمسجد بني هلال، كما استوطن بنو هلال بنواحي حلب و الموصل، و نزلوا المنازل التي كانت فيهم لريعة و كهلان (1).

و عندما جاء الإسلام، ظهرت حركة التمرد التي قامت بها القبائل العربية و منها الهلاليون في القرن الأول للهجرة، و قد رفضت تسديد عشور الزكاة بعد زمن من وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم(2)، كما انضم بنو هلال و بنو سليم إلى الخصوم المعادين للمسلمين، و قد أدى بهم ذلك إلى حد مقاومة المسلمين و الإسهام المباشر في المعارك التي خاضها أعداء الإسلام ضد النبي صلى الله عليه و سلم و أتباعه (3).

و من بين تلك المعارك نذكر غزوة بني سليم في السنة الثالثة للهجرة و غزوة الخندق أو الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة (4)، أين تحالف كل من بني سليم و غطفان و قريش و اليهود ضد النبي صلى الله عليه و سلم و كذلك غزوة حنين(5) التي انتصر فيها الرسول صلى الله عليه و سلم على ائتلاف يضم هوزان ثقيف و جشم .

6. عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ و الأدب، ص 46 .
7. عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى المغرب و خصائصها التاريخية، الاجتماعية و الاقتصادية ، دار السبيل، د.م.ط، دط 2005 ، ج 1، ص 67 .
8. الراضي دغفوس ، المرجع السابق ، ص 38 .
9. أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط1، 1992، ص159، محمد عمارة، سيرة النبي صلى الله عليه و سلم و تأسيس الدولة الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، دط، 1977 ، ص 258 .
10. حنين واد بينه و بين مكة ثلاثة ليال و تسمى غزوة هوزان، ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص 331 .

إن فترة الرسول صلى الله عليه و سلم، تعتبر بالنسبة لهذه القبائل، فترة مواجهة و تصدي لإرادة سيطرة المسلمين، سيطرة تحمل في طياتها الحد من حرياتها بما فيها حرية الديانة (1).

و بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم، تراجعت عدة قبائل عن الإسلام، و من بين تلك القبائل المرتدة بني سليم و هوزان، و قد تمكن "طريفة بن حاجز" بأمر من أبي بكر من إرجاعهم بالقوة إلى دائرة نفوذ السلطة المركزية بالمدينة، غير أن بني هلال لم يشاركوا في حركة الردة، و ربما يرجع السبب في ذلك إلى تخوفهم الشديد من جيوش أبي بكر (2).

أما فيما يتعلق بتواجدهم بمصر، فتعود فكرة تهجير العدنانيين (القيسيه) منذ ولاية العزيز بن مروان، فقد عبر عن ذلك في كلمة قالها مرة يخاطب أباه: « يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به احد من بني أبي » (3)، و لم يكن بمصر حينها من القيسيه إلا جماعات قليلة، و لكن ليس بالقدر الذي يكفي لإحداث تكافؤ و توازن بين المجموعات العربية (قحطان، عدنان) (4)، حتى قام عبید الله بن الحبحاب عامل الخراج في مصر زمن خلافة هشام بن عبد الملك (5) و كان عبید الله بن الحبحاب من موالي قبيلة سلول القيسيه، فطلب إلى الخليفة هشام أن يأذن له في تسيير جماعات من قيس إلى مصر، فأذن له في إلحاق ثلاثة آلاف منهم و تحويل ديوانهم إلى مصر (6).

6. الراضي دغفوس، المرجع السابق، ص 40 .

7. عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 110.

8. المقرئزي، البيان و الإعراب، المرجع السابق، ص 34 .

9. عبد الحميد يونس، المرجع السابق، ص 39.

10. مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، دت، ج2، ص 179، مصطفى كامل شملول الشريف، عروبة مصر من قبائلها، المطبعة العالمية، القاهرة، دط، 1965، ص 29 .

11. المقرئزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، د.م.ط، مصر، دط، 1916، ج1، ص 80، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة الأموية، دار النهضة الحديثة، لبنان، دط، دت، ص 669 .

شرط ألا يستوطنوا الفسطاط(1)، و لذلك وقع توطينهم بالجوف الشرقي(2)، و قد حدث ذلك بين سنتي 109هـ/114هـ، و هذه السياسة كانت متبعة لدى خلفاء بني أمية، في عملية توطين القبائل العربية، و قد شجعت هذه الخطوة الكثير من القبائل العربية على الانتقال إلى مصر في فترات لاحقة، حتى أصبح عددهم في آخر عهد هشام بن عبد الملك "ألف و خمسمائة بيت"(3).

كان هدف الخلافة الأموية في دمشق من نقل القبائل العربية الهلالية إلى مصر هو تحقيق غايات متعددة منها :

1. إيجاد نوع من التوازن بين القبائل العربية (بمنية، قيسية) فمن المعلوم أن اغلب القبائل التي استوطنت مصر هي قبائل يمانية(4).
2. رأى عبيد الله بن الحبحاب، و هو العارف بشؤون الخراج، في تعمير منطقة بلبس فرصة لاستغلالها فاختار لهم هذه المنطقة، و أمرهم بالزرع فيها و لعل القيسية هم أول من مارسوا الزراعة من عرب الشمال(5).
3. كانت الدولة الأموية تهدف من وراء زيادة توطين القبائل العربية في مصر هو تثبيت السلطة الأموية في المنطقة و قمع حركات التمرد(6).
4. نشر العروبة و الإسلام في بلاد مصر من خلال الاختلاط مع السكان المحليين(7).

6. كانت تعرف باباب اليون، و هو الموضع المعروف بالقصر، و لما افتتحه عمر بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21هـ/641م اختطت قبائل العرب حول فسطاط عمر أي خيمته، فسميت بالفسطاط، محمد عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح : إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ، ط2، 1980، ص 670 .
7. هو جهة من جهات مصر يبدأ ناحية الشام بينما ينتهي الجوف الغربي قرب دمياط، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 322.
8. المقرئزي، **المواعظ و الاعتبار**، المصدر السابق، ص 80.
9. فاطمة قدورة الشامي، **تطورات تاريخ العرب السياسي و الحضاري**، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 1997، ص 211، محمد عبد الله المعموري ، **تاريخ المغرب و الأندلس**، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، ط1 ، ص 349 .
10. المقرئزي، **البيان و الإعراب** ، المصدر السابق ، ص 35 .
11. مثل ثورة الأقباط سنة 107هـ/725م ضد الحكم الأموي .
12. عبد الله المعموري، المرجع نفسه، ص 41.

و قد تورطت المجموعات الهلالية و السليمية في قلائل عديدة طوال الفترة العباسية و الفاطمية، دفعت بعض الحلفاء إلى مراقبتها عن كثب و مقاومتها إذا لزم الأمر⁽¹⁾، و قد ذكر لنا ابن خلدون أن بني سليم كثيرا ما كانوا يغيرون على المدينة و يهاجمون قوافل التجار و الحجاج المتوجهة إلى الحرم الشريف بهدف النهب و السبي، فقد بلغ الحذر و التخوف منهم درجة جعلت المنصور يوصي ولده و خليفة المهدي "ألا يستعين برجل من بني سليم"⁽²⁾، و قد اتعب أمرهم الدولة العباسية و أمراء الشام نظرا لكثرتهم و لجوئهم إلى الفرار للبوادي إذا تبعهم جند الدولة .

و لما انطلقت حركة القرامطة في شرقي شبه الجزيرة العربية⁽³⁾، انضم بنو سليم و الكثير من بني هلال بن عامر بن ربيعة أبناء عمومة بني هلال بن عامر بن صعصعة، و لم يكن هؤلاء العرب من غرض في ذلك إلا رغبة في العصيان و خروج على النظام في الدولة العباسية و الفاطمية، حيث ساد في هذه المرحلة التفاوت الحاد بين الناس في الثروة و التعصب في الدين⁽⁴⁾، و قد وجدت دعوة القرامطة إقبالا كبيرا عند الهلاليين، إذا استطاع أن ينضم إلى صفوفهم عدد وافر من زعمائهم بفضل نظام يقوم أساسا على الأخوة، و لقد كانت القاعدة الجغرافية لهذه الحركة عمان و البحرين⁽⁵⁾.

4. الراضي دغفوس، المرجع السابق، ص 46، عبد الحميد يونس، المرجع السابق، ص 41.

5. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 142.

6. صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر و الحجاز زمن الفاطميين و الأيوبيين، العربي للنشر و التوزيع، القاهرة، دط، ص 67 عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسماعيليين، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1971، ج 2، ص 836 .

7. موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية – منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دط ، 1979، ص ص 543 ، 544 ، محمد سهيل طقوس ، المرجع السابق ، ص 94 .

8. البحرين إقليم يسمى باسم مدينته، كان يسمى قديما عند اليونان TYLOS ، إقليم عظيم ببلاد العرب من الجهة الشرقية على بحر فارس قاعدته مدينة هجر، أشهر مدن القطيف، أمين واصف بك، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية ، تح : احمد زكي باشا ، دار المصري للطباعة، مصر ، 1916 ، ص 22 .

كما انتشرت في خرسان و اليمن، أما فيما يتعلق بمساهمة الأعراب في هذه الحركة فيقول ابن خلدون : « و لما كانت فتنة القرامطة صاروا حلفاء لأبي طاهر» (1) الذي استولى على البصرة و الكوفة، و كان بصدد الاستعداد لمهاجمة الحرمين الشريفين (2)، و فعلا استطاع القرامطة بمعونة بني سليم خاصة من الاستيلاء على مكة و ذلك في شهر ذي الحجة 317هـ/930م (3) .

و لكن الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي سوف تتغير جذريا، بعد انتقال الفاطميين من افريقية إلى مصر سنة 362هـ/973م ، إذ أن الفاطميين سرعان ما غيروا موقفهم إزاء القرامطة (4)، خاصة في عهد العزيز (365-385هـ)/ (975-996م) ، الذي اغتنم فرصة تلاشيهم ليقضي عليهم و ينتزع منهم المدن و المواضع التي كانوا متغلبين عليها في الشام و العراق (5) ، فارتد القرامطة إلى معتصمهم في بلاد البحرين و عمان ثم نقل الفاطميون أحلافهم من بني سليم و بني هلال إلى صعيد مصر (6).

و بهذا يكون الفاطميون قد نجحوا في إبعاد القبائل الهلالية إلى صحراء مصر الشرقية، حيث فرضوا عليهم نوعا من الإقامة الجبرية في تلك المنطقة تحت رقابة الدولة، و سوف تتواصل إقامة هذه الجماعات في الصعيد المصري إلى حين نقلهم مرة أخرى إلى افريقية و المغرب وذلك في منتصف القرن الخامس هجري و هنا نصل إلى المرحلة الرابعة من تاريخ الهلالية و تعرف بتغرية بني هلال و بني سليم .

7. احد أبناء أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي زعيم القرامطة في البحرين، تزعم الحركة بعد وفاة والده 350هـ/917م ، فزرع الرعب في جزيرة العرب كلها، سهيل زكار، أخبار القرامطة في الاحساء، الشام، العراق، اليمن، نشر : عبد الهادي مرصوني، د.م.ط ، ط 1 1980 ، ص 340 .

8. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 84.

9. المصدر نفسه، ج4، ص 109.

10. تدهورت العلاقة بين الفاطميين و القرامطة منذ سنة 360هـ/970م و خاصة سنة 363هـ/974م عندما هاجم القرامطة القاهرة و هذا التدهور هو في الواقع نتيجة تضارب المصالح، ففي بادئ الأمر كان الفاطميون يناصرون القرامطة لعدة أسباب : العدو المشترك — الخلافة العباسية، كلاهما اسماعلي شيعي لكن انتقال الفاطميين إلى مصر أصبح خطرا على مصالح القرامطة، فالفاطيون أرادوا نشر مبادئهم على عدة جهات بما فيها المناطق التي كانت تحت سيطرة القرامطة، عبد الله محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها الى مصر مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة ، القاهرة ، دط ، 1991 ، ص 144 .

11. الراضي دغفوس، المرجع السابق ، ص 52 .

12. ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج6 ، ص 15، الناصري ، المصدر السابق، ص289 ، الزركلي ، المصدر السابق ، ص 251 .

المبحث الثالث : الدوافع الكامنة وراء هجرة بني هلال إلى المغرب

إن النزوح و الانتجاع و الارتحال ضرورة تفرضها طبيعة البيئة التي تتكيف معها نفسية هذه القبائل العربية، و كان تنقل القبائل لأسباب ضرورية و لظروف قاسية.

و قد ارتبط انتشار العرب في الأرض بالعديد من الأسباب منها الفتح الإسلامي، إذ خرج العرب ينشرون ديانتهم فأوغلوا في البلاد و فتحوا الأمصار، لكن هذا السبب ليس الوحيد لانتشار العرب في الأرض، فقد تفرقوا أيضا بالمهاجرة بأهلهم و خيامهم التماسا لسعة العيش في البلاد العامرة، و تحسين حالتهم المعيشية .

أما عن أسباب هجرة القبائل الهلالية إلى المغرب، فقد تعددت بين سياسية، دينية و أخرى اقتصادية(1) إضافة إلى أسباب اجتماعية تتعلق بطبيعة هذه القبائل البدوية نفسها، و يمكن تقسيمها إلى أسباب مباشرة و أخرى غير مباشرة :

أ- الأسباب المباشرة :

تذكر المصادر التاريخية(2) أن السبب المباشر لنقل الفاطميين في مصر لبني هلال إلى بلاد المغرب هو النزاع الذي كان قائما بين صاحب القيروان "المعز بن باديس" و وزير الخلافة الفاطمية "الحسن بن علي اليازوري" ففي هذا الوقت تدهورت العلاقة بين بني زيري حلفاء الفاطميين في المغرب و بين السلطة الفاطمية في مصر(3) خاصة بعد تخلي هؤلاء (الزيريون، الحماديون) على مذهب الشيعة منذ نهاية القرن العاشر و بداية القرن الحادي عشر ميلادي .

6. المعموري، المرجع السابق، ص 352، حسن خضيرى احمد، المرجع السابق ، ص 257 .

7. ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6 ، ص 17 ، ابن الأثير، المصدر السابق ، ص 296 ، ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 257

النويري ، المصدر السابق ، ص 243 ، الناصري ، المصدر السابق ، ص 288 .

8. محمد جمال الدين سرور ، المرجع السابق ، ص 228 .

فالعلاقة بين بني زيري و بني عبيد كانت هشة، و خضعت لعدة اعتبارات من بينها تقاليد الولاء للعبيدين، و لكنها كانت تهتز لأي حركة، و يمكن تصور مدى سوء هذه العلاقة من خلال حادثة "كبوة جواد المعز" و قتله لثلاثة آلاف من الشيعة(1) .

و بتقلد الحسن بن علي اليازوري الوزارة تأزمت العلاقة بين الطرفين، و سبب هذا الخلاف أن "المعز بن باديس" كان يحتقر الوزير الفاطمي في المخاطبات الرسمية، و كنا قد اشرنا إلى هذا سابقا، و قد تطور هذا الصراع إلى حد القطيعة(2)، فقد اقسم المعز بن باديس ليقطعن طاعتهم و ليحولن الدعوة لبني العباس، و فعلا حدث ذلك، فقد محى أسماء العبيدين من منابرهم و قطع أسمائهم من الطراز و الرايات و بايع الخليفة العباسي "القائم أبا جعفر"(3) و يعتبر هذا القرار أو القطيعة السبب الرئيسي في فتح طريق المغرب أمام بني هلال، خاصة بعد عجز الفاطميين عن مجابهة آل زيري عسكريا بعد الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها البلاد، فجاءت هجرة بني هلال إلى المغرب بموجب خطة و وضعها اليازوري .

و هناك أسباب غير مباشرة دفعت الفاطميين إلى نقل القبائل الهلالية إلى المغرب و افريقية نذكر منها(4) :

* سوء الأوضاع الاقتصادية في عهد المستنصر 427هـ-487هـ :

لم تتمتع مصر طوال مدة خلافة المستنصر بالله الفاطمي بالرخاء و الطمأنينة، غير مدة قصيرة(5)، فسرعان ما جرت في عهده أحداث سياسية و اقتصادية و اجتماعية أدت إلى تزعزع مركز الخلافة الفاطمية، و ترجع

5. ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 271 ، جورج مارسيه، المصدر السابق، ص 191.

6. النويري، المصدر السابق، ص، 341، الزركلي ، المصدر السابق، ص، 81 ، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص، 362 ، الناصري، المصدر

السابق، ص، 289، ابن خلدون، المصدر السابق، ج، 4، ص، 75، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام الديني، الثقافي و الاجتماعي -

العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر و المغرب، دار الخيل، بيروت ، ط، 14 ، 1996 ، ص 226 .

7. يؤيد هذه التبعة الدينار الذي وجد بمتحف برلين و نقش عليه في الوجه الأول: ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، لا إله إلا الله

وحده لا شريك له محمد رسول الله ، و من الوجه الثاني : باسم الله ضرب مدينة عز الإسلام القيروان سنة 441، يا أيها النبي إن

أرسلناك شاهداً و نذيراً و داعياً إلى الله، حسن إبراهيم حسن ، المرجع نفسه ، ص 226 .

8. المعموري ، المرجع السابق ، ص، 351 ، جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 258 ، حسن خضير أحمد، المرجع السابق، ص، 258 .

9. المقرئ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات و البحوث، مصر ، ط، 1 ، 2007 ، ص 98 .

الأزمة الشديدة التي عرفتها مصر في هذه الفترة إلى طمع الأمراء و تطلعهم إلى السلطة و تنافسهم الحاد على المناصب التي استغلوها في سبيل تحقيق مصالحهم الخاصة(1) و قد أصبحت سلطتهم على درجة كبيرة من الضغط ، فعجزوا عن السيطرة على مقاليد الأمور في البلاد، فتدهورت شؤون العامة و انتشرت النزاعات و الفتن بين الناس (2).

و قد تخللتها مجاعات اعنف و اشد نذكر منها مجاعة سنة 444هـ/1052م ثم مجاعة 447هـ/1055م و مجاعة 457هـ/1065م وترجع أسباب تلك المجاعات حسب المقريري إلى قصر مياه النيل منذ سنة 444هـ ثم قلة الغلات في المخازن التجارية ، فقد ارتفعت الأسعار في خلافة المستنصر و خاصة خلال وزارة اليازوري (3).

و بين ما سلف اثر النيل على الحياة المصرية التي كانت متوقفة على مستوى الفيضان، فكلما قصر النيل و انخفض مقداره تقل الحبوب و ترتفع الأسعار، فيعم الغلاء و المجاعة و ينتشر الوباء و يؤدي ذلك إلى تدمير اجتماعي و من ثم فوضى سياسية (4).

و الأزمة الكبيرة التي حدثت عهد المستنصر بالله الفاطمي في القرن الحادي عشر ميلادي كانت نتيجة لهذا النقص، فبدا الجفاف يهددهم و الجوع يحيم في كل مكان و لم يتوان أصحاب الطبقة المحرومة عن أكل الجيف و الكلاب و البعير، بل وصل بهم الأمر إلى نبش القبور، و أكل الأموات(5) و يصف هذا الوضع "عبد اللطيف البغدادي" «يئس الناس من زيادة النيل، و ارتفعت الأسعار و أقحطت البلاد و اشعر أهلها البلاء، و هرجوا من خوف الجوع، انضوى أهل السواد و الريف إلى أمهات المدن و انجلى كثير منهم إلى

4. عبد الحميد بوسماحة ، المرجع السابق ، ص 70.

5. احمد السيد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية - أسباب و نتائج-، دار التضامن ، لبنان ، ط 1 ، 1988 ، ص 51 .

6. المقريري، إغاثة الأمة ، المصدر السابق ، ص 93 .

7. الرازي دغفوس ، المرجع السابق، ص 173 ، عبد الحميد بوسماحة ، المرجع نفسه ، ص 71.

8. احمد عبد الرزاق احمد، تاريخ و آثار مصر الإسلامية من الفتح حتى نهاية العهد الفاطمي، دار الفكر العربي ، القاهرة، دط ، 1999 ، ص ص ، 191 ، 192.

الشام و المغرب و الحجاز و اليمن ... اشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات و الجيف و الكلاب و البعير و الارواث، ثم تعدوا ذلك إلى أكل صغار بني ادم»(1) .

و يضيف المقرئزي قائلاً: «... و أكلت الكلاب و القطط، و تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها، و معهم حبال و كلاليب، فإذا مر بهم احد القوفا عليه و نشلوه في أسرع وقت و شرحوا لحمه و أكلوه»(2).

فقد الخليفة المستنصر إبان هذه المجاعة كل ثرواته من الذهب و الفضة و الجواهر و الأمتعة، و فقد كل مراسم التعظيم و الأبهة(3)، بل آل الأمر به إلى استعارة بغلة من صاحب ديوان الإنشاء، و تعطلت دواوينه و ذهب وقاره و صار يجلس على الحصير(4).

و من خلال هذه الأزمات التي تعرضت لها مصر يتبين أن أسباب هجرة بني هلال و سليم في جزء منها نتيجة الأزمة الاقتصادية التي عاشتها مصر في القرن الخامس، خاصة إذا علمنا أن تلك القبائل كانت تقطن الصعيد و أن موردها زراعة الأرض، و في ظل التراجع المتتالي لمياه النيل و ما نجم عنه من انعكاسات سلبية على المستوى الزراعي فإن تلك القبائل التي أصابها المجاعة (5) عادت إلى عاداتها القديمة و هي قطع الطريق و النهب، و لم يكن من حل أمام السلطات سوى إيجاد حل للتخلص من هذه القبائل.

ظهر الهلاليون و من معهم من القبائل العربية في افريقية و المغرب على عهد الدولة الصنهاجية، لتحقيق غايات سياسية و انتصارات عسكرية لغيرهم، أرادها الخليفة الفاطمي المستنصر بالله من أجل القضاء على الدولة الصنهاجية المتمردة من جهة و التخلص من عبث القبائل العربية التي صعب عليه مراقبتها من جهة أخرى علماً أن المستنصر كان يدرك مدى الضرر الذي يمكن أن يحدثه هؤلاء الأعراب من خلال خبرته في التعامل معهم .

1. عبد اللطيف البغدادي، الإفاداة و الاعتبار في الأمور المشاهدة و الحوادث المعينة بأرض مصر، إشراف: عبد الرحمن عبد الله

الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1998، ص 132.

2. المقرئزي، إغاثة الأمة ، المصدر السابق ، ص 98 .

3. احمد السيد الصاوي ، المرجع السابق ، ص ص، 81، 82.

4. جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، تع : محمد حسن شمس الدين

دار الكتب العلمية، لبنان ، ط1 ، 1992 ، ج 5 ، ص ص ، 19 ، 20 .

5. الرازي دغفوس، المرجع السابق، ص 162 ، عبد الحميد بوسماحة، المرجع السابق ، ص 70.

تمهيد:

بانتقال العرب الهلالية نحو المغرب يكون إنهاء للعلاقة العبيدية الزيرية بصفة نهائية، إجمعت فيها كل من العوامل المذهبية و السياسية و الاقتصادية، و ما زاد في هذا الإتجاه هو الوزير اليازوري الذي أصر على تأديب المعز بن باديس و الإنتقام منه.

المبحث الأول: علاقة الهلاليين مع بني زيري

1. دخول الهلاليين إلى إفريقية: لما أجاز الفاطميون لبني هلال عبور النيل غربا نحو إفريقية، عبر بنو هلال و بنو سليم نهر النيل و توجهوا نحو برقة¹، سنة 343هـ / 1051م، فوجدوا بلادا كثيرة المرعى⁽²⁾ خالية من الأهل، إذ كان المعز قد أباد معظم سكانها من زناته⁽³⁾ و ما لبث الهلاليون أن كتبوا لإخوانهم في مصر يرغبونهم في البلاد، و استغلت الدولة الفاطمية هذه الفرصة، فبعد أن كانت تدفع لكل رجل يعبر النيل إلى المغرب دينارا صارت تأخذ منهم ضريبة مقدارها دينارين، فاستعادت ما أخذ منها أضعافا⁽⁴⁾.

و لقد اختلف المؤرخون في تعداد العرب الذين رحلوا إلى المغرب، فحسن الوزان يذكر أن الرجال المقاتلين بلغوا خمسين ألفا، أما ابن عذارى فيقول: «فجاز منهم خلق عظيم»، و ابن خلدون يكتفي بوصفهم «كالجراد المنتشر»، كناية عن كثرة عددهم.⁽⁵⁾

و نستخلص مما سبق أن هذه الهجرة تمت على دفعتين، كانت الأولى بإغراء من الفاطميين⁽⁶⁾ و الثانية هجرة طوعية، أقدم عليها بنو هلال و سليم ليشاركوا إخوانهم في الاستقرار بالمغرب العربي.⁽⁷⁾

و أما موقف المعز من هذه الحشود، فقد كان موقف الاستهزاء و الاحتقار لهؤلاء القوم¹ الذين يعيشون على هامش الحضارة الإسلامية، ولأسيادهم الفاطميين الذين لم يجدوا وسيلة لاسترجاع المغرب إلى طاعتهم إلا بالعمل على تخريبه، لهذا لم يكن يتوقع منهم شرا على ملكه.²

¹ برقة، في مرج واسع و تربة حمراء، و هي مدينة عليها سور و أبواب حديد أمر ببناء السور المتوكل بالله أحمد

بن أبي يعقوب ابن واضح، الكاتب يعقوبي، كتاب البلدان، مطبع بريل، ليدن المحروس، دط، 1860م، ص132.

² النويري، المصدر السابق، ص 343. مبارك المليي، المرجع السابق، ص180.

³ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دط، 1980م، ص 158.

⁴ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص82. عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص422.

⁵ حسن الوزان، المصدر السابق، ص46. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص288. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 16.

⁶ محمد ولد دادة، مفهوم الملك في المغرب، من منتصف القرن الأول إلى منتصف القرن السابع هجري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1977م، ص90. عثمان سعدي، عروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دط، 1982م، ص87.

⁷ علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر (نشأتها، و تطورها قبل 1830)، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، ط1، 1972م، ص214.

و في هذه الأثناء اتّصل بالمعز زعيم إحدى هذه القبائل العربية و هو «مؤنس بن يحيى الرياحي»، فلطف عنده مؤنس هذا و كان سيد قومه، فشاوره المعز في إتخاذ بني عمه من رياح جندا له، فأشار عليه بأن لا يفعل ذلك⁽³⁾ و عرّفه بقلّة اجتماع القوم على الكلمة و عدم انقيادهم إلى الطاعة، فألح عليه المعز قائلاً: «تريد انفرادك حسدا منك لقومك» فعزم مؤنس على الخروج إليهم بعد ما قدم العذر، ثم رحل متوجّها نحوهم فنادى في القوم و حشدوهم، فلما انتهوا إلى قرية تنادوا هذه القيروان⁽⁴⁾ فنهبوا من حينها فلما بلغ ذلك المعز عظم الأمر عليه و قال: «إنما فعل مؤنس هذا ليصحح قوله و يظهر نصحه» و ألقى القبض على أخيه و قيل على أزواجه و أولاده⁽⁵⁾ و عندما سمع مؤنس بذلك اشتدت نكايته و عظم بلاؤه، و قال: «قدّمت النصيحة فحاق الأذى بي و نسبت الخطيئة إليّ» فكان أشدّ أضرارا من قومه⁽⁶⁾.

أراد العرب بعدها الوصول إلى القيروان، فقال مؤنس: ليس المبادرة عندي برأي، فقالوا: «كيف تحب أن تصنع؟» فأخذ بساطا فبسطه ثم قال لهم: «من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشي عليه؟» قالوا: «لا نقدر...» ثم قال لهم: «فهكذا القيروان.... خذوا شيئا فشيئا حتى لا يبقى إلا القيروان فخذوها»، حينئذ قالوا: «إنك لشيخ العرب و أميرها»⁽⁷⁾.

1 النويري، المصدر السابق، ص 343. الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص 252.

2 إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 158.

3 رابح بونار، المرجع السابق، ص 194.

4 بساط من الأرض، مديد من الجوف منها بحر تونس و في الشرق بحر سوسة و المهديّة و في القبلة بحر صفاقس و قابس و أقربها من البحر الشرقي. أبو عبد الله أبي العزيز البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، مكتبة المثنى، بغداد، دط، دت، ص 24.

5 رابح بونار، المرجع نفسه، ص 194. جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 222.

6 الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص 253. عبد الله المعموري، المرجع السابق، ص 355.

7 عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص ص 116، 117.

2. معركة حيدران¹

سألت أحوال القيروان بمضايقات العرب، و إفسادهم للمزارع و محاصرة الأطراف و انقطعت أسفار المسافرين و قلت الحركة خوفا من غارات الأعراب⁽²⁾ فشعر المعز بأن الأمور بدأت تفلت من يديه، و أن الوضع يسير نحو الأسوأ، فبادر إلى جمع جيش عظيم من العبيد⁽³⁾ و بعث يستنجد ببني عمّه بقلعة بني حماد، فبعث إليه القائد بن حماد كتيبة من ألف فارس و أرسلت إليه زناته ألف فارس، و جمع عساكره، فكانوا ثلاثين ألف فارس، و أول معركة وقعت بينه و بين الأعراب، كانت معركة حيدران، من جهة قابس في ذي الحجة 443هـ 1053م، و كان عدد العرب ثلاثين ألف فارس.⁽⁴⁾

و عن هذا يتحدث ابن الأثير فيقول: «إن العرب لما رأت عساكر صنهاجة و العبيد مع المعز هالهم ذلك و عظم عليهم فقال لهم مؤنس بن يحيى: « ما هذا يوم فرار» فقالوا: « أين نطعن هؤلاء و قد لبسوا الكزاغندات⁽⁵⁾ و المغافر؟ قال: « في أعينهم» فسمى ذلك اليوم يوم العين.⁽⁶⁾

و لكنه ما كادت المعركة تبدأ حتى ظهرت علامات الفشل في المعسكر الصنهاجي، حيث بدأ عرب الفتح بالتحيز جانبا، قبل أن ينظموا إلى جانب الهلاليين، للعصبة القديمة بينهم⁽⁷⁾ و هنا لم يكن من المستغرب أن يخون الزناتيه بدورهم، بل و الصنهاجيون فيفرون من ميدان القتال⁽⁸⁾ تاركين المعز وسط المخلصين له من عبيده، فقاتل عبيد المعز بشجاعة، و لكنهم مع ذلك انهزموا و قتل منهم خلق كثير.⁽⁹⁾

1 جبل بينه و بين القيروان ثلاثة أيام. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص296.

2 إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص158.

3 عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص117. جورج مارسيه، المرجع السابق، ص223. رابح بونار، المرجع السابق، ص195.

4 ابن عذارى، المصدر السابق، ص290. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص18.

5 أردية محشورة من القطن أو الحرير، يتدرع بها في الحروب. خيضر حسن، المرجع السابق، ص68.

6 ابن الأثير، المصدر السابق، ص296. النويري، المصدر السابق، ص343. رابح بونار، المرجع نفسه، ص196.

7 ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص18.

8 المصدر نفسه، ص18. عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص430. الراضي دغفوس، المرجع السابق، ص203.

9 Ernest mercier, histoire de l'Afrique septentrionale (bèrbérie) depuis les temps plus reculés jusqu'à la conquête française, ernestlerouxediteur, paris, 1868, p 20.

و كان النصر مؤزرا بالنسبة للعرب، كما كانت الهزيمة قاسية بالنسبة لصنهاجة، فلقد إنتهب العرب جميع ما كان بالحلّة من المال و المتاع و الذخيرة و الفسطاطيط و الرايات⁽¹⁾ و دخل المعز القيروان مهزوما على كثرة من معه.⁽²⁾

و يذكر ابن خلدون بأن عدد قتلى جيش المعز بلغ ثلاثة آلاف و ثلاثمائة قتيل⁽³⁾ و بمناسبة انتصار بني هلال على الزيريين نظمت قصيدة جاء فيها:

لقد زاروا من اميم خيال و أيدي المطايا بالزميل عجال

و ابن باديس لأفضل مالك لعمرى و لكنه ما لديه رجال

ثلاثون الفا منهم قد هزمتهم ثلاثة آلاف و ذاك لمحال⁽⁴⁾

بعد هذه الهزيمة أعاد المعز بن باديس ترتيب جيوشه و سار على العرب في جيش قدره سبعة و عشرون ألف فارس، للإغارة عليهم مرة أخرى، لكنه هزم هزيمة نكراء⁽⁵⁾، بعد هذا حاصر العرب مدينة القيروان، فامر المعز بأن ينقل أهل صبرة⁽⁶⁾ و ينزلوا في أبينتها و أسواقها فارتج البلد لذلك و عظم الخطب و اشتد الكرب، و مد العبيد و رجال صنهاجة أيديهم على خشب الحوانيت و سقافها، و اقتلعوها و خربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة⁽⁷⁾.

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ص18. عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص430.

2 عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص118.

3 ابن خلدون، المصدر نفسه، ص18.

4 النويري، المصدر السابق، ص345،346. ابن عذارى، المصدر السابق، ص279 ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص18،

عبد الحميد خالدي، المرجع نفسه، ص118. الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ص259.

5 ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص297.

6 تقع في بادية و هي حصينة بها نخيل و تب، شربهم من ماء المطر، بناها الخليفة الفاطمي، اشتق اسمها من صبر عسكره في الحرب. ابن ابي بكر المقدسي شمس الدين بن ابي عبد الله محمد بن احمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، ليدن الخروسة، دط، 1877م، ص224.

7 عبد الحميد خالدي، المرجع نفسه، ص118.

أقبلت العرب حتى نزلت بمصلى القيروان، و وقعت الحرب فقتل من المنصورية و رقادة خلق كثير، فلما رأى المعز قوتهم أمرهم بدخول القيروان و يأخذون ما يحتاجون إليه دون بيع و شراء، فلما دخلوا استطاعت عليهم العامة، و وقعت بينهم الحرب، و في سنة 444 هـ 1054 م بنى سور زويلة و القيروان⁽¹⁾

و في سنة 446 هـ حاصرت العرب مدينة القيروان و ضيقت عليها تضيقا شديدا⁽²⁾ و فيها اخذ مؤنس بن يحيى (المرادسي) مدينة باجة و أطاعه أهلها، و أشار المعز، على الرعية بالانتقال إلى المهديّة⁽³⁾ لعزه عن حمايتهم من العرب، و أقام المعز و الناس ينتقلون إلى المهديّة سنة 449 هـ/1059 م، و فيها دخلت العرب القيروان.

و في شعبان 449 هـ/أكتوبر 1057 م، انتقل المعز إلى المهديّة في خفارة رجلين من العرب كان قد صاهرهما من قبل⁽⁴⁾ بينما قام الهلاليون في رمضان 449 هـ/نوفمبر 1057 م، من انتهاب مدينة القيروان و تخريبها، فهرب أهلها إلى تونس، و سوسة، و يقول الشاعر ابن شرف في هذا الصدد:

تَرَحَّلَ عَنْهَا قَاطِنُهَا فَلَا نَرَى سَوَى سَائِرٍ أَوْ قَاطِنٍ وَ هُوَ سَائِرٌ
انْكَشَفَتْ الْأَثَارُ عَنْهُمْ وَ رُبَّمَا أُقِيمَتْ سُورُ دُوْنَهُمْ وَ سَتَائِرٌ⁽⁵⁾

و قد توفي المعز سنة 454 هـ/1062 م بعد ما سلم الأمر إلى ابنه تميم و انتقله إلى المهديّة و استقراره بها.⁽⁶⁾

و يذكر ابن خلدون⁽¹⁾ أن العرب اقتسمت بلاد المغرب العربي سنة 446 هـ فكان لزغبة طرابلس، و لمرداس بن رياح باجة و ما يليها، ثم اقتسموا البلاد الثانية فكان لهلal من تونس غلى قابس إلى طرابلس الغرب، و هم: رياح، زغبة، المعقل، جشم، قرّة، الأثبج، الخلط و سفيان.

1 ابن عذاري، المصدر السابق، ص 291.

2 يبدو أن الضيق الشديد الذي أحس به المعز دفع به إلى التراجع في موقفه إزاء الفاطميين في مصر، و يعلن من جديد طاعته لهم، كما انتهج سياسة المصاهرات مع بعض الأمراء الهلاليين، فقد زوج بناته الثلاث إلى أمراء القبائل العربية. الراضي دغفوس، المرجع السابق، ص 209. الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص 266.

3 عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 119. محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل الدولة الصنهاجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 99.

4 الراضي دغفوس، المرجع نفسه، ص 209. سعد زغلول، المرجع السابق، ص 436.

5 ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 83. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 19.

6 ابن الأثير المصدر السابق، ج 8، ص 354.

و بهذا يكون قد استولى الأعراب على جميع المناطق المنخفضة في بلاد المغرب و لم يحتفظ بنو زيري إلا بشريط ساحلي ضيق يمتد من سوسة إلى صفاقس.⁽²⁾

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ص19. مصطفى أبو ضيف أحمد، القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، ص61،60.

2 روبرت رينشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15 م، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1988م، ج1، ص32.

المبحث الثاني: علاقة الهلاليين مع بني حماد

1. بداية التسرب الهلالي إلى المغرب الأوسط: (1)

إن سياسة المهادنة و التحالف التي حاول المعز بن باديس اتباعها من اجل درء خطر أعراب بني هلال نحو القيروان، لم تعد تجدد نفعا، فكانت هزيمة حيدران سنة 443هـ/1052م، و دخول المعز مهزوما على كثرة من معه فلم يعد هذا الأخير يسيطر حتى على عاصمة ملكهم القيروان التي فر منها مدعورا، بعد أن خسرت صنهاجة أكثر من ثلاثة آلاف و ثمانمائة من محاربيهم في أول معركة حقيقية مع الهلاليين.

عمت الفوضى و سيطر الأعراب على السهول الخصبة و المراعي، و انتقل كثير من أهل القيروان إلى قلعة بني حماد⁽²⁾ لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب، فعمرت بلادهم و كثرت أموالهم⁽³⁾ و صارت مدينتهم وريثة لأعجاد القيروان.⁽⁴⁾

1 بلاد الجزائر حاليا، من مدنه المشهورة تلمسان تاهرت، كتامة، بجاية، أشير، بسكرة، المسيلة، و هذا الإقليم هو نوميديا و أول من دخله من أمراء المسلمين أبو المهاجر دينار عامل إفريقية من قبل معاوية بن أبي سفيان .أمين واصب بك، المرجع السابق، ص110.

2 تقع في جبل سامي العلو، صعب الارتقاء و قد استدار صورها بجميع الجبل و تسمى تاقرسبت و أعلى هذا الجبل متصل ببسيط من الأرض و قد لعبت شجاعة "حماد بن بلكين" دورا كبيرا في تأسيس القلعة. جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية، في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث و الرابع هجريين (9-10) م، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، ص377. بن عودة المزاربي، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن 19، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1990م، ج1، ص138.

3 ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص372.

4 عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار صحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، ط2، 1991م، ص179.

و كمرحلة أولى عاد الحماديون إلى مبايعة الفاطميين في القاهرة إثر هزيمة المعز في حيدران و ذلك ليتجنبوا تحريض الفاطميين للقبائل الهلالية عليهم، و كانت هذه الوسيلة ناجحة بحيث ساعدتهم على التخفيف من حدة التوتر⁽¹⁾.

و يمكن القول أن بداية التسرب الهلالي نحو المغرب الأوسط، بدأت بعد أن حالف الناصر بن علناس قبيلة الأثبج سنة 457هـ/1065م، و يبدو أن الأثبج هم الذين حرضوه على ذلك.

إذا كانوا يرغبون في بذل مجهود أخير لمقاومة نفوذ بني رياح المتعاضم، فاستعان شيوخ الأثبج بالناصر ضد بني رياح، و قد لبى حماد طلبهم بطيبة خاطر، لا سيما و أن بني رياح كانوا موالين لبني زيري⁽²⁾.

و وصل إلى أسمع تميم أن الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه و يذمه، و أنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية، و أنه قد حالف بعض صنهاجة و زناته و بني هلال ليعينوه على حصار المهدية⁽³⁾ فلما صحّ ذلك عنده، أرسل إلى أمراء بني رياح فأحضرهم إليه و قال: «أنتم تعلمون أن المهدية حصن منيع، أكثره في البحر، لا يقاتل منه في البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا و إنما جمع الناصر هذه العساكر إليكم»⁽⁴⁾، فكانت استجابتهم سريعة و لم يطلبوا من تميم سوى المعونة قائلين: «الذي تقوله حق و يجب منك المعونة» فأعطى تميم لكل واحد منهم - و كان عددهم عشرة - ألف دينار و ألف درع و ألف رمح، و ألف درقة، و ألف مهند، ثم انسحبوا فجمعوا قومهم، و تحالفوا و اتفقوا على لقاء الناصر.⁽⁵⁾

و بدأ الاستعداد الفعلي للنزال بطريقة تداخلت فيها سياسة الأحلاف بالدسائس و الحسابات فأوفدت رياح شيخين منها إلى زعماء الأثبج و عدي يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر و يخوفونهم منه إن قوي و أنهم إنما يستمر لهم المقام و الاستيلاء على البلاد إذا تم الخلف و ضعف السلطان، فأجابهم بنو هلال إلى الموافقة، و وعدهم بالانحزام عند أول حملة عليهم⁽⁶⁾ أما تميم فقد واصل استعداداته للمواجهة و اتصل

1 عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص-120-141. الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص285.

2 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص205. الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص305.

3 ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص372. عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص453.

4 النويري، المصدر السابق، ص350.

5 ابن الأثير، المصدر نفسه، ج8، ص373. الرازي دغفوس، المرجع السابق، ص212.

6 ابن الأثير، المصدر نفسه، ج8، ص373. عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص143.

بابن المعز بن زيري بن عطية من آل خذر الزناتية حاكم فاس، و كان قد دخل في طاعة بلكين بن حماد (447-454هـ/1055-1062م) بعدما كان جده زيري بن عطية يخوض الحروب ضدهم و اتفق معه بنحو ذلك فوعده أن ينهزموا بدورهم⁽¹⁾.

2. معركة سببية: (2)

هكذا بدأ كل من الطرفين يحشد قواته انتظارا للمعركة الحاسمة، فاحتوى معسكر الناصر بن علناس، إلى جانب قواته النظامية من العبيد السودان، جماعات من صنهاجة و زناته إلى جانب حلفاء من العرب الهلاليين من عدي و الأثبج⁽³⁾ بينما احتوى معسكر تميم قبائل الهلالية من رياح فرعنة و سليم و انظم إليهم الأمير المغراوي ابن المعز بن زيري بن عطية.⁽⁴⁾

و المعروف عن تاريخ الموقعة أنها تمت في سنة 457هـ/1065م، دون تحديد الشهر أو اليوم، أما عن موقع المعركة فكانت بالقرب من قرية سببية فحملت رياح على بني هلال و حمل المعز على زناته⁽⁵⁾ فانهمزمت الطائفتان و تبعهم عساكر الناصر منهزمين و كان مبلغ من قتل من صنهاجة و زناته أربعة و عشرين ألفا و غنمت العرب ما كان في المعسكر من مال و سلاح و دواب.⁽⁶⁾

1 الهادي روجي إدريس، المرجع نفسه، ص306. الراضي دغفوس، المرجع نفسه، ص213

2 مدينة أزلية كثيرة المياه و الأجنة عليها سور من الحجارة وهي ناحية من أعمال القيروان. أبو القاسم بن حوقل، المسالك و الممالك، ليدن المحروسة، مطبع بريل، دط، 1873م، ص58. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص76.

3 النويري، المصدر السابق، ص349. الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص305.

4 عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص120.

5 صالح يوسف بن قرية، تاريخ مدينتي المسيلة و قلعة بني حماد في العصر الإسلامي، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009م، ص127.

6 الراضي دغفوس، المرجع السابق، ص213. عبد الرحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، دط، 2010، ج1،

ص346. أبو عبد الله الأعرج السليمان، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية و نهاية ثورة الأمير عبد القادر، تح: حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، دط، دت، ص88.

و أضاف ابن الأثير قائلا: «و بهذه الواقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم قدموها في ضيق و فقر و قلة دواب فاستغنوا و كثر دوابهم و سلاحهم و قلّ المحامي عن البلاد»⁽¹⁾

و أرسل المنتصرون الألوية و الطبول و البوقات و خيم الناصر بدواجها إلى تميم، فرفض قبولها و ردها إلى العرب و قد مس هذا الرفض بشعور العرب الذين احتجوا لديه، فأجابهم تميم أن رفضه ليس فيه أي مس بكرامتهم و قال: «يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمي»⁽²⁾

تركت هزيمة الحماديين في سبته 457هـ/1065م، المغرب الأوسط مفتوحا أمام طوائف العرب التي دخلت البلاد و تمكنت من السيطرة على عدة مناطق حيث زحف الأعراب إلى الزاب⁽³⁾ و اكتسحوا بسائطه بقوة لا تقهر حتى انتهوا إلى ضاحي القلعة ففزع الناصر منهم و شرع في تأسيس مدينة بجاية سنة 460هـ فرارا منهم و تحصنا من هجماتهم⁽⁴⁾.

وسلكت طوائف أخرى منهم طريق الصحراء و اصطدمت بقبائل زناته القوية، فجرت بينهم معارك عنيفة قام فيها أمير تلمسان ابن خذر بقيادة وزيره الحربي أبي سعد اليفرنى و هلك أبو سعد في إحدى المعارك⁽⁵⁾ فانفسح المجال أمام بني هلال و استولوا على البسائط و السهول فلم يبق أمام الدولتين الزيرية و الحمادية إلا مداراة هذه القبائل و تقريبها إليها بالاقطاعات و الاستعانة بفرقها العسكرية النشيطة في حروبها الأهلية⁽⁶⁾.

لقد كان روج الناصر بن علناس إلى سببية خطأ جسيما، ترتبت عليه نتائج خطيرة ألا و هي الدخول الواسع النطاق للمغرب الأوسط⁽⁷⁾ و إذا قارنا بين الدخول الهلالي لإفريقية و بين دخولهم إلى المغرب الأوسط، نجد أن ضرر الهلاليين بالمغرب الأوسط كان أقل ضررا، على إفريقية العربية هي سياسة ناجحة إلى حد بعيد و أفضل من سياسته أبناء عمومته بني زيري الذين يتحملون قسما كبيرا من نتائج هذه

1 ابن الأثير، المصدر السابق، ج8 ص 373.

2 ابن الأثير، المصدر نفسه، ص373. النويري، المصدر نفسه، ص351. يوسف بن قرية، المرجع نفسه، ص138.

3 إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص167. عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص170.

4 ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص374. يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص143.

5 عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص-ص336-365.

6 عبد الحميد خالدي، المرجع نفسه، ص174.

7 عبد الحميد خالدي، المرجع نفسه، ص121.

الحملة⁽¹⁾، يتضح مما سبق أن تنافس صنهاجية (الزيرين و الحماديين) هو الذي أوقع بهم بين أيدي العرب، ففي الوقت الذي كان عليهما الاتحاد معا وتناسى الخلافات للتخلص من عبث الأعراب نجد كل منهما يسارع من أجل ضم العرب في صفوفهم، و استغلّاهم في حروبهم ضد بعضهم، على عكس الهلاليين الذين كانوا يضعون مصلحتهم في المقام الأول و قد دفع الصنهاجيون الثمن غاليا، ثمن هذا الخطأ الاستراتيجي.

المبحث الثالث: علاقة بني هلال مع المرابطين والموحدين

1. مع المرابطين:

كان المغرب الأقصى يشهد حالة من الانقسام السياسي و انتشار البدع و الضلالات⁽²⁾ الأمر الذي أدى إلى ظهور حركة دينية في الصحراء جنوب المغرب الأقصى و بالتحديد في حوض نهر السنغال، أخذت على عاتقها مهمة محاربة البدع و سميت هذه الحركة بحركة المرابطين بقيادة عبد الله ياسين⁽³⁾ و استطاعت هذه الحركة أن توحد المغرب العربي و أن تقيم دولة لها في هذه المنطقة.

أما بالنسبة لعلاقة بنو هلال بالمرابطين، تمدنا المصادر التاريخية المتوفرة لدينا بمعلومات عن حصول تماس بين الهلاليين و المرابطين و السبب في ذلك يعود إلى أن المرابطين قد انشغلوا في الجهاد في بلاد الأندلس،⁽⁴⁾ أما

1 عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 178.

2 رابح بونار، المرجع السابق، ص 235. محمد علي الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين في الشمال الافريقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2005م، ص20.

3 هو ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي، أصله من قرية تاماناوت في طرف صحراء غانا. محمد علي الصلابي، المرجع نفسه، ص 27.

4 عبد الله المعموري، المرجع السابق، ص 358.

الهلاليون فقد انشغلوا في توطيد حكمهم في بلاد المغرب و إفريقية، بل إن هذه القبائل العربية قد اشتركت إلى جانب المرابطين في قتال مملكة قشتالة في الأندلس و بالتحديد في معركة "كنسويجر"⁽¹⁾.

كذلك وردت إشارات عند ابن القطان تفيد باشتراك العرب الهلالية إلى جانب المرابطين في الأندلس في معركة أقليش⁽²⁾ سنة 501 هـ حيث انتصر فيها العرب على الافرنج.

و مما تقدم يتضح أن العلاقة بين العرب الهلالية و المرابطين، اتسمت بالهدوء و التعاون في بعض الأحيان لانشغال الطرفين بتوطيد توجدهما في المناطق التي سيطروا عليها، و كان إشتراك الهلالية إلى جانب المرابطين السمة البارزة التي غلفت العلاقة بين الطرفين.

2. مع الموحدين:

أعقبت الدولة الموحدية دولة المرابطين في حكم بلاد المغرب و الأندلس في سنة 541 هـ، و قد قامت الدولة على أسس دينية إصلاحية هدفها تحقيق وحدة المسلمين⁽³⁾.

و مؤسس هذه الدعوة هو الفقيه أبو عبد الله محمد الملقب بابن تومرت⁽⁴⁾ والذي إدعى بأن نسبه يرجع إلى الرسول صلى الله عليه و سلم، عن طريق الأدارسة، و اتخذ من اللون الأخضر شعارا له.⁽⁵⁾

أما بالنسبة لصلة القبائل الهلالية بالموحدين فتعود إلى عهد محمد بن تومرت الذي اتصل بعرب الجزائر الثعالبة،⁶ أثناء عودته من رحلته المشرقية⁽¹⁾ وكانت الثعالبة أول القبائل التي ناصرت الدولة الموحدية.

1 أبو مروان، عبد الملك ابن الكردبوس التوزي، الإكتفاء في أخبار الخلفاء تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2009، م1، ص405.

2 حصن أقليش أو أقليج "Ucles" دارت في معركة بين المرابطين و النصارى و هي الموقعة التي انتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو. ابن قطان المراكشي، نظم الحمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمد علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، دب، ط2، دت، ص63.

3 عبد القادر قلاطي، الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، دار الأصاله، الجزائر ط1، 2006م، ص191، عبد اللطيف الصبان. بعض أدوار النساء في البلاطات الموحدية، مجلة المؤرخ الالكترونية، العدد 3.

4 عزالدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1991، ص35.

5 ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص45. فاطمة بلهوارى، التأصيل التاريخي لحركة الموحدين في القرن السابع هجري، مجلة انسانيات، العدد 12، وهران، 2000م، ص49.

6 من القبائل العربية، سكنت سهل الجزائر وكانت تتنقل ي الصحراء حتى تمكنوا من السيطرة على الجزائر و دلس، يبلغ عدد فرسانها ثلاثة آلاف رجل، و هم من ولد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير بن معقل. حسن الوزان، المصدر السابق، ص56.

تجددت صلة بني هلال بالموحدين مرة أخرى سنة 547هـ عندما قرر عبد المؤمن بن علي التوجه إلى إفريقية لتخليصها من السيطرة النورمانية، بعد الإستنجات الكثيرة التي وصلته من سكان المنطقة⁽²⁾ وكان لا بد به وهو في طريقه إلى إفريقية أن يصطدم ببقايا الدولة الحمادية في المغرب، و بالفعل حدث ذلك و كانت النتيجة انتصار الموحدين والسيطرة على بجاية عاصمة الحماديين⁽³⁾.

أثارت انتصارات الموحدين في المغرب الأوسط مخاوف القبائل العربية، لذلك إجتمع زعماء تلك القبائل و أعيانها، وتشاوروا فيما بينهم وخلصوا إلى رأي واحد مفاده أن يستعدوا لقتالهم قبل أن يصلوا إليهم و يخرجوهم من المغرب⁽⁴⁾.

و في هذه الأثناء كان ملك صقلية⁽⁵⁾ "روجار الأول" يتربح تحركات عبد المؤمن بن علي، فلما سمع باستعداد القبائل الهلالية لقتاله أرسل إليهم وفدا يعرض عليهم نجدهم بخمسة آلاف فارس من النصارى، إلا أن زعماء القبائل رفضوا قائلين: «لا نستعين على المسلمين بغيرهم»⁽⁶⁾.

و في سهل سطيف⁽⁷⁾ التفت جيوش الموحدين بالقبائل الهلالية و خلال المعركة تمكن الموحدون من إلحاق الهزيمة بتلك القبائل بعد معارك طويلة، انسحب بعدها العرب تاركين خلفهم أموالهم و أولادهم ، فنقلهم عبد المؤمن معه إلى مراكش و أسكنهم فاس و مكناس وسلا⁽⁸⁾.

1 الناصري، المصدر السابق، ص244.

2المعموري، المرجع السابق، ص359. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص193.

3 ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص372. ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تص: البشير الفوري، التقدم الإسلامية، تونس، ط1، دت، ص112.

4 النويري، المصدر السابق، ص117.

5 تلفظ بالايطالية سيسيليا Sicili نسبة لأحد الشعوب التي وفدت عليها و همالصقالية Sicelis كانت تعرف قبل ذلك باسم ترينا كريا Trian cيا تقع في حوض البحر الأبيض المتوسط و هي أكبر جزره فتحا العرب في عهد زيادة الله الأول 212هـ/827م. علي بن محمد بن سعيد الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، أم القرى، مكة دط، 1996م، ص31. عبد الجليل سلمي، حضارة العرب في صقلية، مجلة الأمة، ع 27، 1403هـ.

6 النويري، المصدر السابق، ص417.

7 مدينة بناها الرومان (سيتيفيس) على بعد 60ميل جنوب بجاية في سهل جميل جدا و هي محاطة بأسوار مبنية بحجر جميل مكعب.حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 52.

8 رايح بونار، المرجع السابق، ص 199. عبد الله المعموري، المرجع السابق، ص360.

أمر عبد المومن بن علي بعد ذلك إبنه محمد بأن يكاتب أمراء العرب و يطلب منهم الحضور إلى مراكش، بعد أن يدل لهم الأمان و العفو، فوفدوا عليه و استقبلهم بأعلى درجات الحفاوة⁽¹⁾.

و بعد أن استطاع عبد المومن أن يكسر شوكة القبائل العربية و القضاء على الكيانات السياسية التي أسسوها في المنطقة، قام باستخدامهم في مقاتلة النورمان⁽²⁾ حتى تمكنوا من طردهم من المهديّة سنة 555هـ، و سمي هذا العام بعام الأخماس⁽³⁾.

و في عهد "يعقوب المنصور" حاول بنو غانية⁽⁴⁾ الاستقلال بحكم إفريقية⁽⁵⁾ و قد ساندتهم قبائل بنو رياح و جشم و الأثبج، غير أن المنصور تمكن من أن يهزم هذا التحالف و قام بنقل العرب الهلالية إلى المغرب الأقصى، إذ استقروا في مدنها المختلفة⁽⁶⁾.

و لكن الوضع لن يدوم، فما إن سمع الهلالية و حلفائهم من بني غانية بوفاة المنصور سنة 595 هـ و تولي ابنه الناصر الخلافة، حتى تجددت الثورة⁽⁷⁾

ومنيّت الجيوش الموحدية بهزيمة قاسية هذه المرة، قرر بعدها الناصر التوجه بنفسه لقتال بنو غانية و كان ذلك في سنة 602 هـ، و تمكن من إلحاق هزيمة قاسية بالعرب و حلفائهم في معركة "تاجرا".⁽⁸⁾

لم يقتصر دور العرب في عهد الموحدين على الجانب السلي فقط، بل كان لهم دور كبير في المعارك التي خاضها الموحدون في جبهتي المغرب والأندلس، و بالخصوص معارك الجهاد في الأندلس، و في هذا الصدد

1 النويري، المصدر نفسه، ص418.

2 عز الدين، عمر موسى، المرجع السابق، ص35.

3 سمي هذا العام بعام الأخماس لأنها سنة خمس و خمسين و خمسمئة. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، الرباط، دط، 1972م، صص197، 198. ابن الخطيب، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص117.

4 يرجع أصل غانية إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية، كانوا يحكمون الجزائر الشرقية (ميورقة، منورقة، و يابسة) في عهد المرابطين، و عندما تمكن الموحدون من القضاء على المرابطين 540هـ، حافظ بنو غانية على حكمهم و قاوموا الحملات الموحدية ثم نقلوا صراعاتهم مع الموحدين إلى إفريقية. أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار، الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة، 1963م، ج2، ص205.

5 عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2005م، ص189.

6 عمارة عمورة، المرجع السابق، ص28. عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص51.

7 مصطفى أبو ضيف أحمد، المرجع السابق، ص81. عبد القادر قلاطي، المرجع السابق، ص136.

8 الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص17.

يذكر المراكشي: ⁽¹⁾ «أن عبد المؤمن بن علي عندما أراد العبور إلى الأندلس، استنفر أهل المغرب عامته فيمن إستنفرهم العرب فكتب إليهم رسالة جاء مظهرها:

بَنِي الْعَمِّ مِنْ عَلِيَّا هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ وَ مَا جَمَعَتْ بِهِ مِنْ بَاسِلٍ وَ ابْنِ بَاسِلٍ
تَعَالَوْا فَقَدْ شَدَّتْ إِلَى الْعَزْوِ نِيَّةٌ عَوَاقِبُهَا مَنْصُورَةٌ بِالْأَوَائِلِ²

مما تقدم يتضح مدى إهتمام الخليفة الموحي عبد المؤمن بن علي بالقبائل العربية الهلالية، فضلا عن دورهم المتميز في خدمة الدولة.⁽³⁾

و في عهد الخلفاء المتأخرين حظي زعماء القبائل العربية بمكانة مرموقة، فقربوهم من مجالسهم، و السبب هو ضعف الدولة و الدور الكبير الذي لعبه العرب في ترجيح كفة خليفة على آخر نتيجة لتواجدهم بشكل كبير في مراكش وفاس والمدن الأخرى.⁽⁴⁾

كان موقف العرب من دولتي بني زيري و بني حماد موقف القوي في غالب الأحيان، و وجدت هذه القبائل بغيتهم في دولتي صنهاجة لضعفها، و لكن الامر اختلف عندما قامت دولة الموحدين و امتد نفوذها إلى كل من المغرب، فقد كانت معظم الأحيان دولة قوية قادرة على بسط سلطانها، لذلك أخذ موقف العرب في التذبذب بين الطاعة و الولاء، و بين شق عصا الطاعة و الاشتراك في الثورات التي اندلعت في المغرب.

1 عبد الملك بن صاحب الصلاة المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عهد الموحدين، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م، ص 349.

2 عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص158. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 202.

3المعموري، المرجع السابق، ص 366.

4 الناصري، المصدر السابق، ص 294.

تمهيد :

لم يتوقف نشاط بنو هلال عند حلولهم إلى ارض المغرب الإسلامي على تقويض صرح الدول التي كانت قائمة آنذاك (الدولة الصنهاجية بافريقية ،و الدولة الحمادية في المغرب الأوسط) بل امتد نشاطهم ليشمل جميع المجالات في كل أرجاء افريقية و المغرب باجمعه بعد ذلك، و كانت لهم كلمتهم في تحديد معالم سياسة المغرب الإسلامي لاحقا فكانوا عنصرا فعالا مساهما في قيام الدول المغاربية و في سقوطها كذلك.

المبحث الأول : الآثار السياسية و العسكرية

كان لهجرة العرب للمغرب آثار سياسية خطيرة، و لقد بدأت هذه الآثار منذ الوهلة الأولى لقدم العرب، ثم استمرت بعد ذلك باستمرار وجودهم و تغيير مواطنهم، لذلك لم تتوقف نتائج الهجرة الهلالية عند حد أو زمن فهم قد أصبحوا جزءا من شعوب المغرب، يؤثرون في أحداثه و يتأثرون هم أيضا بإحداثه . إن المغرب الأدنى كانت تجمعها وحدة واحدة و يخضع لحكم الزيريين، مزقه العرب الهلاليون إلى إقطاعات و مناطق تتحكم فيها هذه القبائل، و بذلك تقلص حكم الصنهاجيين بفرعيه الزيري و الحمادي على الساحل(1)، و تملك العرب المناطق الداخلية و تمكنوا من تأسيس عدة إمارات صغيرة(2)، فيها إمارة بنو جامع بقابس(3) و قام بأمرها "رافع بن مكي بن كامل" و هو الذي اختط قصر العروسين(4). كذلك تمكن بنو ورد اللخميون من إقامة إمارة بمدينة بنزرت، و للمحافظة على إمارتهم، اتفقوا مع جيرانهم من عرب بني مقدم من الاثنج و دهمان من رباح(5) .

1. روبر بارنشفيك، المرجع السابق ، ص 32 .
2. عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 174.
3. التيجاني ، المصدر السابق ، ص 94 .
4. فيما يخص اختطاط قصر العروسين يذكر التيجاني أن أهل قابس يرجعون بناءه إلى "رشيد بن مكي" ، التيجاني، المصدر نفسه، ص 95 ، ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6، ص 97.
5. أبو ضيف احمد، المرجع السابق، ص 62.

كذلك من أهم الآثار السياسية، اتجاه ملوك بني زيري إلى البحر ليكون مجال نشاطهم، مما أدى إلى دخولهم في صراعات مع النورماندين، فأسس أسطولا ضخما ساعده على القيام بنشاط بحري و مهاجمة سواحل صقلية و ايطالية(1).

اثر سياسي آخر للغزوة الهلالية، و هو اثر استمر قرونا عديدة، و هو عدم الاستقرار السياسي في المغرب و قد رأينا انه مع تغلب العرب على صنهاجة و زناته إلا أنهم لم يؤسسوا ملكا(2)، و يقول عبد الحميد يونس أن هذا هو الفارق الجوهرى بين هذه القبائل و عرب الفتح، إذ أن عرب الفتح كان دافعهم مثل عليا يريدون تحقيقها بعد أن خرجوا من دولة لها أسسها و مبادئها، إما هؤلاء الأعراب و إن جاءوا بتحريض من دولة إلا أن المحرك لهم هو غرائزهم(3).

امتد تأثيرهم السياسي حتى وصل إلى المغرب الأوسط، فقد كبدت معركة سببيه الناصر بن علناس الحمادي خسائر مادية و بشرية كبيرة، و كانت أثارها عميقة على الحماديين و مستقبل دولتهم بالقلعة(4)، فقد الحق بنو هلال الضرر بحضارة الدولة، و يصف ابن خلدون(5)الوضع قائلا: «فنزلوا و خربوا جنباؤها، و أحبطوا عروشها و أتوا على ما هناك من الأمصار، فخربوها و أزعجوا ساكنيها و عطفوا على المدن و المنازل و القرى و الضياع فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن و أوحش من جوف العير...».

1. السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، المرجع السابق، ص 671.

2. صحيح انه قامت ما يمكن أن نسميه إمارات عربية في قابس و بنزرت و غيرها إلا أن حياة الطعن كانت تمثل لديهم القوة و القدوة لذلك كانوا يؤثرون على الضواحي و يفضلون حياة البداوة على الاستقرار.

3. عبد الحميد يونس، المرجع السابق، ص 74.

4. صالح بن يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 139.

5. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 43.

و قد تركت هزيمة الحماديين في سببيه بلاد المغرب الأوسط مفتوحة أمام طوائف العرب التي دخلت البلاد تمكنت من السيطرة على عدة مناطق مثل تبسه و جنوب الاوراس و قرى الزاب، و سلكوا طريقهم ما بين الأطلس التلي و الصحراوي حتى انتهوا إلى جبال البيان و جبال بابور(1)، فهاجر أمراء افريقية و المغرب الأوسط من صنهاجة و ولاية أعمالها إلى الأمصار و ملك العرب عليهم الضواحي يتحينون جوانبهم و يقعدون لهم بالمرصاد و يأخذون لهم الإتاوة على التصرف في أوطانهم(2)، لذلك قرر الناصر نقل عاصمته من القلعة إلى بجاية(3)، و يعتبر بناء بجاية (4) من أهم الإحداث البارزة في تاريخ بلاد المغرب الأوسط في عهد الحماديين .

و قد اختلف المؤرخون حول الأسباب الرئيسية التي أدت إلى بناءها، فحسب ابن الأثير(5) فان النتائج التي أفرزتها موقعة سببيه و التي هزم فيها الناصر بن علناس 457هـ/1064م على يد الزيريين و تواطؤ القبائل العربية و خيانتها له هي السبب في حمل الناصر على التفكير في بناء مدينة جديدة، و يضيف ابن الأثير إلى هذا السبب رأيه في أن بناء بجاية كان مرتبطا بقصة الصلح بين الناصر الحمادي و تميم بن المعز بعد موقعة سببيه، و خيانة محمد بن البعبع احد رجال تميم بن المعز و تأمره مع الناصر بن علناس(6).

1. عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق، ص 369.

2. اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 167 .

3. E. carete, origine et migration des principales tribus de l'Algérie, imprimante impériale, Paris, P71.

4. مدينة كبيرة حصينة منيعة، وثيقة البنيان، عجيبة الإتيان، موضوعة في أسفل جبل وعمر، كانت تدعى في القلم سلداي او سلديا

محمد العبدري البننسي. الرحلة المغربية، تق : سعد بوفلاحة، منشورات بونه للبحوث و الدراسات، الجزائر، 2007 ، ص 49 . أبو

العباس احمد بن احمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح : رابح بونار، الشركة الوطنية

للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1981 ، ص5 .

5. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 374.

6. ابن الأثير، المصدر نفسه، ، ص 374.

وثمة آراء تشير إلى أن بناء المدينة يرجع في الأصل إلى تخوف الناصر من غزوات الهلاليين(1).

و بالرغم من تغيير الحماديين للمنطقة لم يسلموا من خطر الأعراب ، لذلك كانوا يدفعون آذاهم و خطرهم بإعطائهم نصف غلات البلاد و عن هذا يقول المراكشي « و سار هؤلاء العرب حتى نزلوا على المنصور ، فصالحهم على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من ثمرها و غير ذلك، فأقاموا على ذلك باقي أيامه و أيام ابنه العزيز و أيام يحيى»(2) و لا شك أن هذا الموقف من جانب بني حماد يعني عدم قدرتهم على صد هذه القبائل.

لا يقل اثر و دور بني هلال في العمليات العسكرية، سواء في داخل المغرب الإسلامي أو في الأندلس عن دورهم في الحياة السياسية، فمشاركتهم في الجهاد بالأندلس سجلها التاريخ في عدة ادوار منذ عهد المرابطين(3)، و الموحيدين من بعدهم(4)، فكانوا دائما يلبنون نداء الواجب و كانت مشاركتهم دوما من شأنها أن تقلب الحسابات لصالح الفريق الذي يقفون بجانبه في مواجهة العدو.

و قد احتاجت الدول التي قامت في المغرب و هي كلها دول بربرية إلى القبائل العربية لمواجهة أعدائها من الدول المجاورة ، كما استعان بهم ولاة الأمور في تعزيز مراكزهم في الحكم، أو يغريهم الطامعون في الحكم ليصلوا على أكتافهم للسلطة.

1. الغبريني، المصدر السابق، ص6، رابح بونار، المرجع السابق، ص 273 .

2. ابن عذارى، المصدر السابق، ص 297.

3. التيجاني ، المصدر السابق، ص 132.

4. خيضر، المرجع السابق، ص 263 .

المبحث الثاني : الآثار الاقتصادية و الاجتماعية

1. الآثار الاقتصادية :

يكاد المؤرخون و الكتاب يتفقون على المبالغة في تصوير مدى التدمير الاقتصادي الذي ألحقه العرب بالمغرب و خاصة القيروان لما دخلوها سنة 449هـ ، فابن خلدون يصف كيف استباح العرب القيروان وغيرها بعد فرار المعز بن باديس إلى المهدية فيقول : « وجاء العرب فدخلوا البلد و استباحوه، و اكتسحوا المكاسب و خربوا المباني و عاثوا في محاسنها و طمسوا من الحسن و الرونق معالمها ... » (1).

كما يسرد المراكشي تاريخ القيروان منذ نشأتها حتى ملكها بنو زيري فيقول : « فلم يزل زيري و بنوه ملوكا عليها إلى أن كان آخرهم الذي أخرجه العرب عنها، فانتهبها العرب و خربتها، فهي خراب إلى اليوم فيها عمارة قليلة يسكنها الفلاحون و أرباب البرية»، و يذكر في أحداث 449هـ فيقول : « و في أول يوم من رمضان انتهب العرب مدينة القيروان، و خربتها و كانت من أعظم مدن الدنيا» (2).

أما ابن أبي دينار فيذكر انه في أيام تميم بن المعز كانت المجاعة العظمى بافريقية و الوباء الذي لم يسمع بمثله (3) ، و يقول ابن الأثير : « و شرعت العرب في هدم الحصون و القصور و قطع الثمار و خربوا الأنهار... » (4) و يسانداهم في ذلك صاحب معالم الإيمان بقوله : « ما جرى على القيروان من نهب العرب لها و سبي حريمها، و لم يبق بها دار إلا دخلت... و تفرق أهلها في الأرض بعد هلاك أكثرهم و تبديد معظمهم » (5).

1. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 16.
2. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 291 .
3. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 86.
4. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 298.
5. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري الاسيدي الصباع، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تع: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، المكتبة العتيقة ، تونس ، دط ، دت ، ص 15 .

أما العبدري فيصف القيروان بقوله: « دخلتها مجدا في البحث غير أنني لم أرى إلا رسوطا محتها يد الزمان... و قد كان شان القيروان في غابر الزمان بحيث لا يجهله إنسان و لا يحصله لسان... » (1).

كما يذكر أيضا انه بعد رجوعه من الحج مر على طريق الساحل إلى القيروان قائلا: «و طريق الساحل إلى غابة افريقية، و هي غابة عظيمة من زيتون ... يعصر زيتا طيبا... و لكنها الآن معطلة لفساد البلاد و استيلاء العربان عليها» (2).

و هناك من الشعراء من رثا القيروان عندما دخلها العرب الهلالية من بينهم ابن شرف القيرواني (390-460هـ) و ابن رشيق (390-486هـ) (3)، و هذا الأخير بكى القيروان في قصيدته النونية، أهم ما قال فيها :

كانت تعد القيروان بهم إذا عدا المنابر زهرة البلدان

و زهت على مصر و حق لها كما تزهوا بهم و عدت على بغداد

حسنة فلما إذا تكامل حسنهما و سما إليها كل طرق ران (4)

و مع انعدام الأمن، و سيطرة العرب على الطرق التجارية، تأثر اقتصاد المغرب فاخترت قلعة بني حماد كمركز تجاري و أصبحت القيروان ممرا عابرا، و قل الإنتاج الزراعي و الصناعي داخل رياض المدن الداخلية و الساحلية مثل قفصه، قسنطينة، بجاية، المهدية (5)، و هجر بعض الناس مزارعهم و بساتينهم، و لجئوا لزراعة ما جاور المدن الحصينة و عم الغلاء (6).

1. العبدري، المصدر السابق، ص 64.

2. العبدري، المصدر نفسه، ص 237.

3. ابن رشيق، هو أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي المسيلي، أحد اعلام الشعر و النقد في القرن الخامس هجري بافريقية، كان مع ابن شرف في بلاط "المعز بن باديس" و حظيا بعنايته و اهتمامه. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ت: عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2008، ص 122.

4. محمد الطمار، المرجع نفسه، ص 123.

5. عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص 180.

6. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 86.

صحيح أن بني هلال كان لهم تأثير على الجانب الاقتصادي بالمغرب الإسلامي، و لكن هذا سيكون لفترة وجيزة و بعدها يتغير الوضع في كل البقعة الممتدة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا(1)، فاشتهرت إمارة قابس بكثرة الإنتاج من المحاصيل و الحبوب ، و اشتهرت كل من قفصه بالنتاج الزراعي و بلاد الزاب بتربية الإبل و البقر إلى جانب زراعة الزيتون و النخيل، فأثرت هذه القبائل العربية تأثيرا ملحوظا في الحياة الاقتصادية للمغرب، نظرا لخبرتهم في تنمية الموارد الحيوانية -حرفة الرعي- كما بذلوا جهدا لتوفير المياه للزراعة(2).

ومن جانب آخر كان للإمارات التي أسسها بنو هلال اثر تجاري كبير ، فقد قام بنو جامع ببناء السفن و انشؤوا علاقات بحرية تجارية مع جيرانهم (3).

إذا تتبعنا أقوال المؤرخين نلاحظ أن وصفهم ينصب على الجزء الشرقي من المغرب ، أي المغرب الأدنى و جزء من المغرب الأوسط ، و هي منطقة عانت من حروب بني هلال و سليم ، و لكنها كانت مسرح لثورات عنيفة اجتاحت المنطقة مثل ثورة أبي يزيد صاحب الحمار، و ثورات بني غانية ، كما عانت من هجمات النورمان و الفرنج ، و مع هذا لا يجب أن ننكر أن عرب بني هلال و سليم الحقوا بالمغرب الكثير من الدمار، لكن المسؤولية تقع أيضا على حكومات المغرب الذين استعملوا العرب أداة ضد بعضهم البعض فخربوا بيوتهم بأيديهم .

1. رابح بونار، المرجع السابق، ص 199.

2. عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص 194.

3. أبو ضيف احمد، المرجع السابق، ص 61.

2. الآثار الاجتماعية :

لعبت الهجرة الهلالية دورا كبيرا و أساسيا في كل نواحي الحياة في المغرب الإسلامي، و كان دخولهم إلى المغرب بحق حدثا تاريخيا فاصلا، غير من وجه المغرب سياسيا و عسكريا كما رأينا و اجتماعيا و ثقافيا كما سنوضحه.

فلقد جددت الهجرة الهلالية ظروف الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب(1)، حيث جاء بنو هلال محملين بعاداتهم الرعوية، هذا ما سمح لهم بالانتشار و التوسع بحثا عن الكأ و المراعي، و تحولت الأراضي المعدة لزراعة الحبوب و الخضر إلى أراضي للسكن و الرعي، و في هذا السياق يذكر "شارل أندري جوليان" «انه لم تسلم إلا الأراضي الفلاحية الكائنة على طول الساحل حول المدن...» (2) .

كما احدث العرب الهلاليون تأثيرا في التركيبة السكانية للمغرب بأقسامه المختلفة الأدنى، الأوسط و الأقصى ، و هذا راجع لكثرة عددهم، إضافة إلى أن العرب الهلاليين لم يتركوا شبرا من المغرب إلا و طرقوه و نجم عن هذا مخالطتهم للقبائل البربرية في المدن و القرى(3)، أدى إلى امتزاج الدماء العربية بالبربرية التي خلفت أجيال قوية و اشد عزيمة، و قد ساعد على هذا الاختلاط و الامتزاج التشابه بين حياة العرب الهلالية و بعض قبائل البربر و خاصة التي تمتهن الرعي منهم، بالإضافة إلى اتفاقهم في الصفات الخلقية كالشجاعة و عزة النفس و حفظ العهد و غير ذلك من الصفات(4) .

كما ادخل العرب الهلاليون على بلاد المغرب أسلوب حياة غير مألوف لأهل البربر و منها الإقامة في الخيام التي لم تكن منتشرة في المغرب آنذاك(5).

1. جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 234.

2. شارل أندري جوليان، تاريخ افريقية -تونس، الجزائر، المغرب- من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، تح: محمد مزالي و البشير بن سلامة، د.م.و ، ط 2 ، 1989 ، ج 2، ص 98 .

3. عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص 187.

4. مبارك المليي ، المرجع السابق ، ص 680.

5. جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 237.

المبحث الثالث : الآثار الثقافية و اللغوية

من المؤكد أن أهم نتائج الغزوة الهلالية على الإطلاق ، أن استحكمت عروبة الألسنة في أنحاء المغرب و صار للعربية السيادة و الهيمنة في كل جزء من أجزائه، فساعدت بذلك على أن تكون لتلك البلاد شخصيتها العربية الواضحة.

فكانت هجرة بني هلال و بني سليم الحملة الثانية بعد الفتوحات الإسلامية ، و لذلك تغيرت الوضعية العربية في البلاد و تعزز أمرها باستقرار تلك القبائل ، فأخذت عندئذ الأخلاق العربية تنتشر و اللغة تعم(1) حتى اندمج الكثير منهم في الكتلة العربية، و أصبح من العسير التمييز بين العربي و المغربي(2)، و مما ساعد على انتشار اللغة العربية —خاصة في الريف— أن اللغة البربرية لم تكن لغة علم بل لغة منطوقة و الكتابة بها محدودة(3).

و قد قامت اللغة العربية بدور حاسم في بلاد المغرب الأوسط على عهد الدولة الحمادية ، على اثر هجرة بني هلال و سليم إلى افريقية ، ذلك أن العربية قبل الحملة كانت لغة الطبقة الحاكمة أما اللهجة المغربية فكانت لغة العامة(4) و عن هذا يقول محمد الطمار : «هذا و العروبة هي اللسان الرسمي للدولة الحمادية مع أن رؤساءهم برابرة لكونها لغة القرآن و الدين ، شرفوها و اجتهدوا في نشرها ، ثم جاء الهلاليون و سليم و زغبه و رياح بلغتهم...فزادت بذلك الضاد حتى زاحمت اللغة البربرية التي تقلص ظلها على الجبال...»(5) .

6. عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 194.

7. الفريد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي ، دار الكتاب للطباعة، بنغازي، 1969 ، ص 214 .

8. رابح بونار، المرجع السابق ، ص 221 .

9. عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه، ص 194.

10. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، المرجع السابق ، ص 116.

و قام الحماديون من جهتهم من بالعمل على نشر اللغة العربية و تعليمها للقبائل حتى تساهم في النقل و التعريب، لذلك نعتبر عهد بني حماد بداية وضع الأسس المتينة لتعريب البلاد و السير بخطى واسعة(1) معتمدين على وجود العربية السابق ، بينما ظلت البربرية تعيش في المناطق النائية المعزولة(2) . و بدأت تظهر خاصية جديدة اتسمت بها مراكز الثقافة العربية بالمغرب الأوسط و هي قدرتها على ترويض الهلاليين و تحويلهم إلى أدوات إنتاج فكري مادي ، و انتزاع صفة الدمار و الخراب التي يحملها الكثير في نسبها إليهم(3).

و كان لعهد الازدهار الثقافي و الانتعاش الفكري الذي شهدته لقرون عديدة اثر بالغ في أن تصبح قبله للعلماء الذين ذاع صيتهم في الآفاق، و ربطا لطلاب العلم فخرجت منهم العلماء و النجباء من المفكرين و المبدعين(4).

و قد أشاد الكثير من المؤرخين في الدور الذي لعبته الهجرة الهلالية في تعريب المغرب، و خاصة المستشرقين منهم(5).

6. صالح بن يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 221.

7. عثمان الكعاك، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، المطبعة الكمالية القاهرة، دط ، 1958 ، ص 12 .

8. عبد الحميد خالدي، المرجع نفسه، ص 194.

9. رزاق حبيب، مراكز التعليم و مناهجه في العهد الحمادي، مجلة الفكر الجزائري، مخبر المرجعيات الفلسفية و الفنية للتفكير البلاغي و النقدي ، الجزائر، 2009 ، ع 4 .

10. أول من كتب عن آثار الهجرة الهلالية من المستشرقين هو "ارنست مرسى ERNEST MERCIER " حيث حمل الهلالية مسؤولية أفول حضارة القلعة الحمادية علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسط و المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ط 1 ، 2008 ، ص 35 .

و عن هذا يتحدث "شارل أندري جوليان" فيقول: «و لقد أتى البدو و بلغتهم التي يمكن بسهولة تمييزها عن جميع لهجات المدينة الموروثة عن الفاتحين الأولين، و من لغة البدو تفرعت اغلب اللهجات العربية الريفية المستعملة في شمال إفريقيا» (1).

و من هنا نفهم أن اللغة العربية في المغرب قد اختلفت في لهجتها عن لغة المشرق، و ذلك لطبيعي جاء بحكم البيئة الجديدة و الاختلاط بالبربر، فكما تأثر البربر بالعرب و اخذوا لغتهم، اثروا أيضا إلى حد ما في العرب و لغتهم.

و لكن هناك من ظل محافظا على اللغة العربية الفصحى حسب العبدري «و عرب برقه اليوم أفصح عرب رأيناهم، و عرب الحجاز أيضا فصحاء، و لكن عرب برقه لم يكثرُوا ورود الناس عليهم، فلم يختلط كلامهم بغيره، و هم إلى الآن على عربيتهم لم يفسد من كلامهم إلا القليل» (2).

و لا شك أن انتقال القبائل الهلالية، و عملية استقرارها، و ما نتج عن ذلك من تفاعل (حروب-مصادمات) اظهر دورها المفسد لاقتصاديات البلاد، و لكن في المقابل لا يمكن إنكار دورهم الايجابي الفعال في حياة المغرب الثقافية و الدينية و الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية

7. شارل أندري جوليان ، المرجع السابق، ص 98.

8. العبدري، المصدر السابق، ص 64 .

خاتمة :

كان لانتقال مركز الخلافة الفاطمية من المهديّة إلى القاهرة سنة 362هـ، أثره الكبير في تطور الأحداث السياسية بالمغرب.

فمن الملاحظ أن كل الدول التي قامت بالمغرب حتى قيام الدولة الفاطمية، كانت مشرقية أي أن حكامها كانوا من المشرق، أما الدول التي قامت بعد ذلك فكانت مغربية حكاما و أرضا. و أول دولة قامت بعد انتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة كانت الدولة الصنهاجية التي خرج رابع حكامها المعز باديس على طاعة الفاطميين، فلم يكتف بقطع العلاقات السياسية مع الفاطميين، بل عمل على الانفصال المذهبي و التحول عن المذهب الاسماعيلي، و الاعتراف بخلافة العباسيين السنية و فرض مذهب الإمام مالك رضي الله عنه .

لقد كان رد فعل الدولة العبيدية بعد الإعلان عن القطيعة، أن أرسلت قبائل بني هلال بعدما سمحت لهم بعبور نهر النيل انتقاما من الزيريين و كانت هذه فكرة "اليازوري" الوزير الداهية، و بدخول الهلالين وقع الانفصال الفعلي بين الطرفين.

و قد حدثت حروب كثيرة بين العرب و البربر و هذا طبيعي نتيجة الاحتكاك الأولي بينهما، انتهت بانتصار عرب بني هلال أهمها : حيدران ، سبييه.

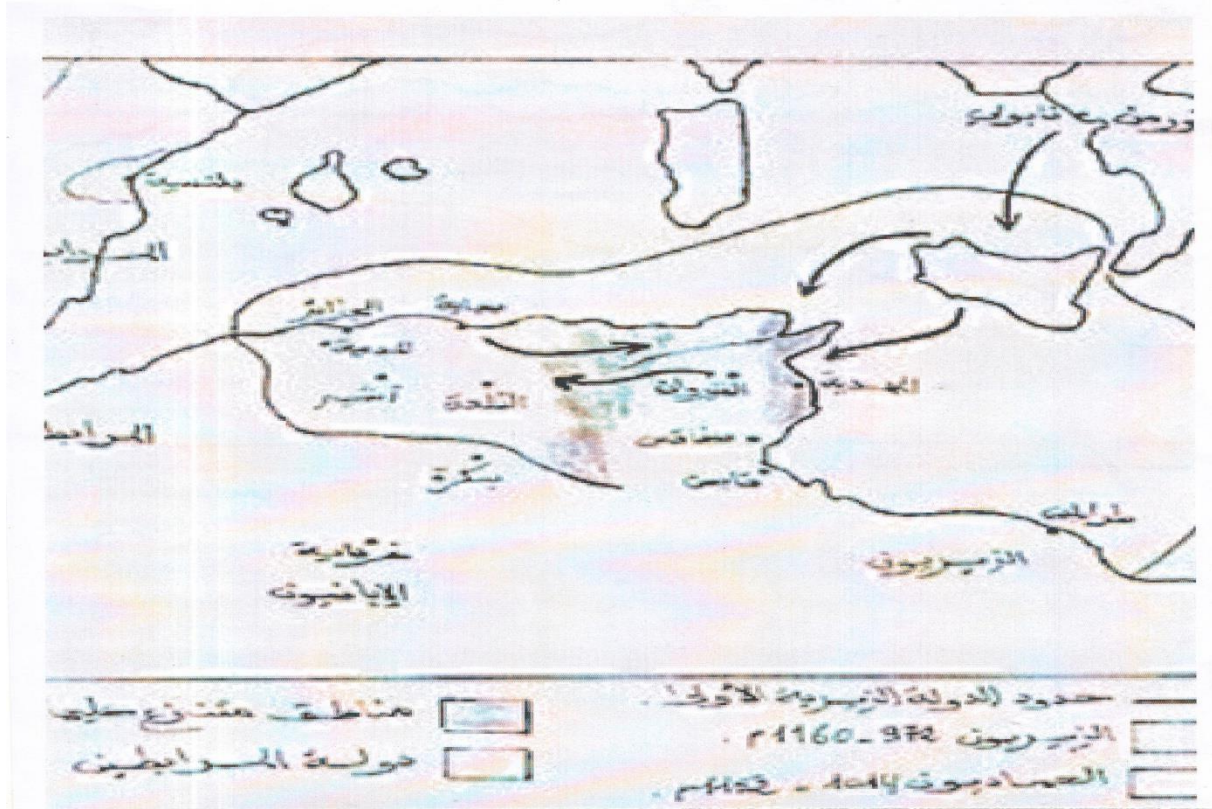
انزل العرب بافريقية و المغرب الأوسط خرابا بالغا كان له ابعاد الأثر في تاريخ البلاد دفعتهم عدة أسباب للقيام بتلك الأعمال الهمجية جاعلة دخولهم البلاد نكبة كبرى على تاريخها، بل بلغ الأمر أن في تاريخنا للمغرب أن نقول أن غزوة بني هلال تعتبر الخراب الأكبر للمغرب، فقد قضت على عمرانته و على جهود الدول السابقة في بناء حضارته و لكن هذا غير صحيح فظاهرة تخريب المدن عرفها المغرب قبل هذا العهد. و لكن بني هلال أدوا مع ذلك خدمة كبرى بالنسبة لعروبة المغرب، فقد أضعفت مجموعهم قوى تلك القبائل الزناتية، التي كانت تحاول سيادة المغرب بالقوة و العنف، فنجد أن الهلالين انتشروا في كل ناحية من البلاد الممتدة إلى أحواز المغرب الأقصى، و بدؤوا يستقرون في البلاد المغاربية استقرار البدو شيئا فشيئا، طوعا و كراهية، رغبة و رهبة، فقد اعتبرت الهجرة الهلالية أهم حدث عرفته بلاد المغرب في الفترة الوسيطة، فهي التي أثرت أكثر من الفتح الإسلامي تأثيرا طبع المغرب بطابع لم تمحه القرون، و إذا كان الفتح الإسلامي للمغرب حوله لبلد مسلم فان الغزو الهلالي قد إلى بلد عربي، فالهجرة الهلالية أحدثت في المغرب تعديلا

جنسيا حولته إلى شعب تجري في عروقه الدماء العربية، فكان تأثير الهلالين في البربر اجتماعيا لغويا و جنسيا كما كان نفوذ الفاتحين الأوائل دينيا و سياسيا.

لم تكن إذن الهجرة الهلالية شرا مدمرا بل كان شرا نتج عنه خير ، فقد غيروا التكوين البشري لافريقية و المغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى فيما بعد ، بغض النظر عن طبيعة دخولهم إلى بلاد المغرب و أسبابها و المهم أن العروبة أصبحت اغلب على البربرية.

و في الأخير يمكننا القول أن الهجرات الهلالية أكملت مهمة الفاتحين الأوائل و المتمثلة في تحويل بلاد المغرب إلى بلد عربية الحضارة و اللسان.

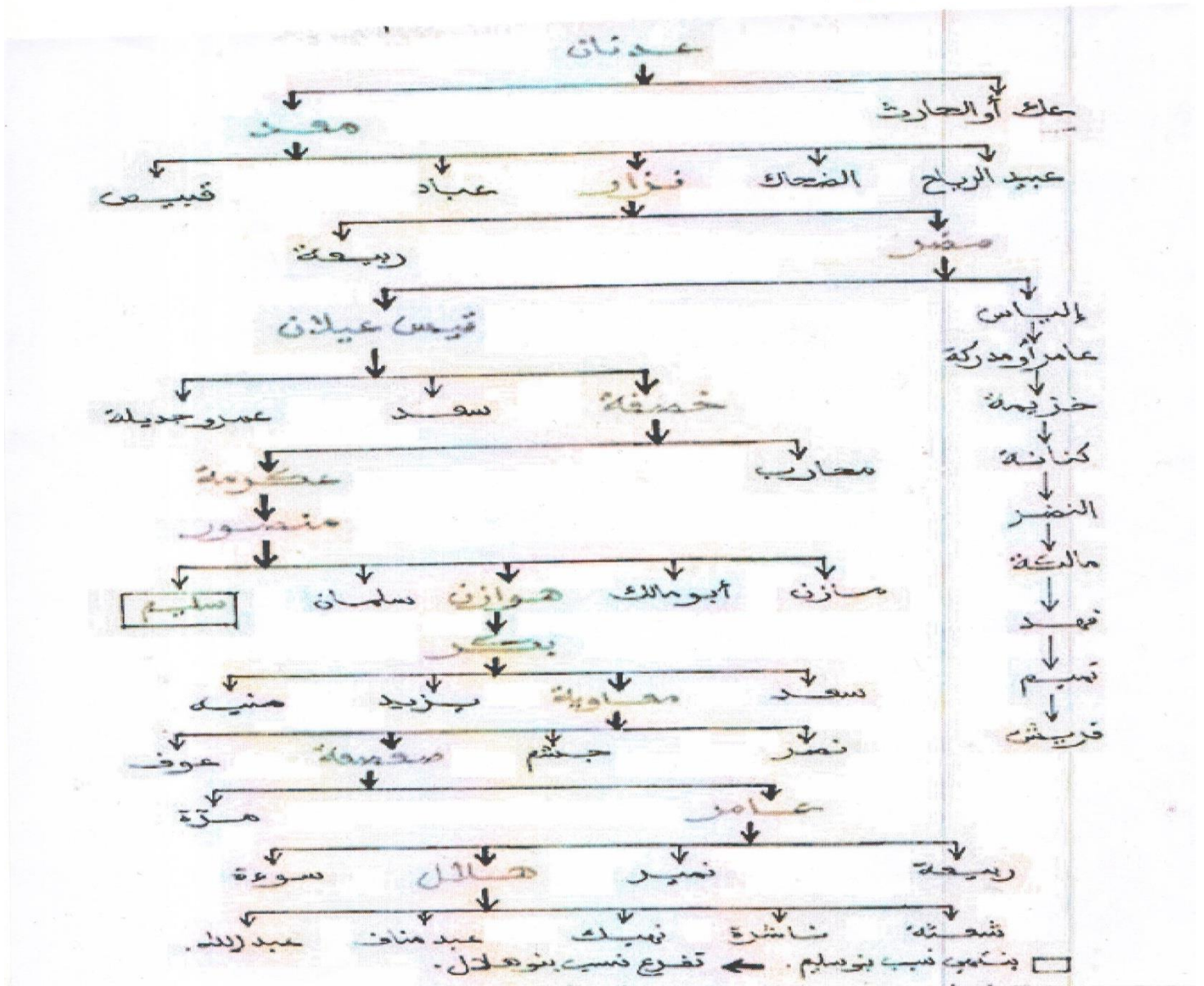
الملحق رقم: 01



المغرب الإسلامي قبل التغيرات الهلالية

نقلا عن : عمار عمورة، المرجع السابق، ص 129.

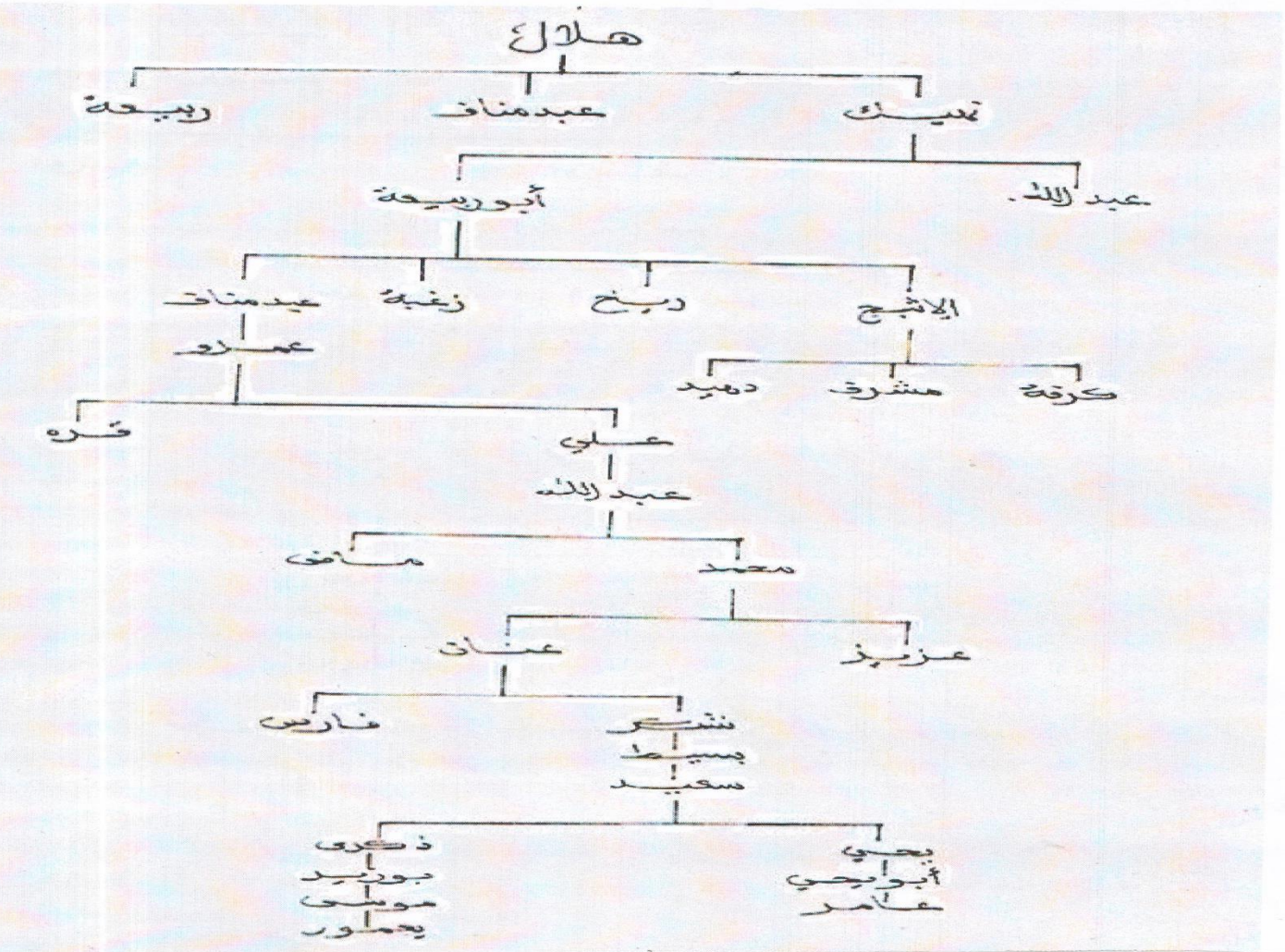
الملحق رقم: 02



شجرة نسب بني هلال

نقلا عن : ابن حزم، المصدر السابق، ص 351.

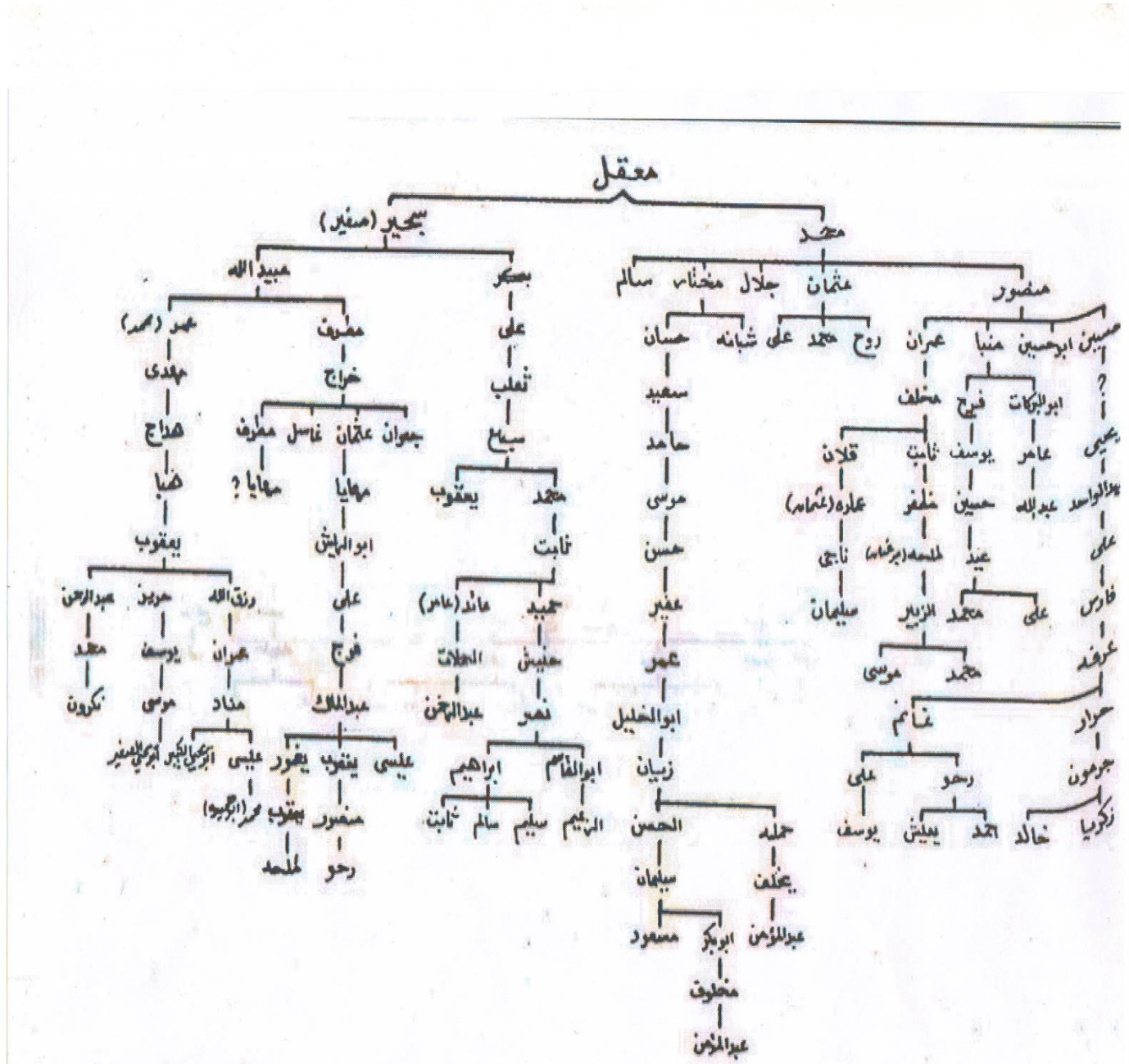
الملحق رقم: 03



نسب بني هلال

نقلا عن : مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 351.

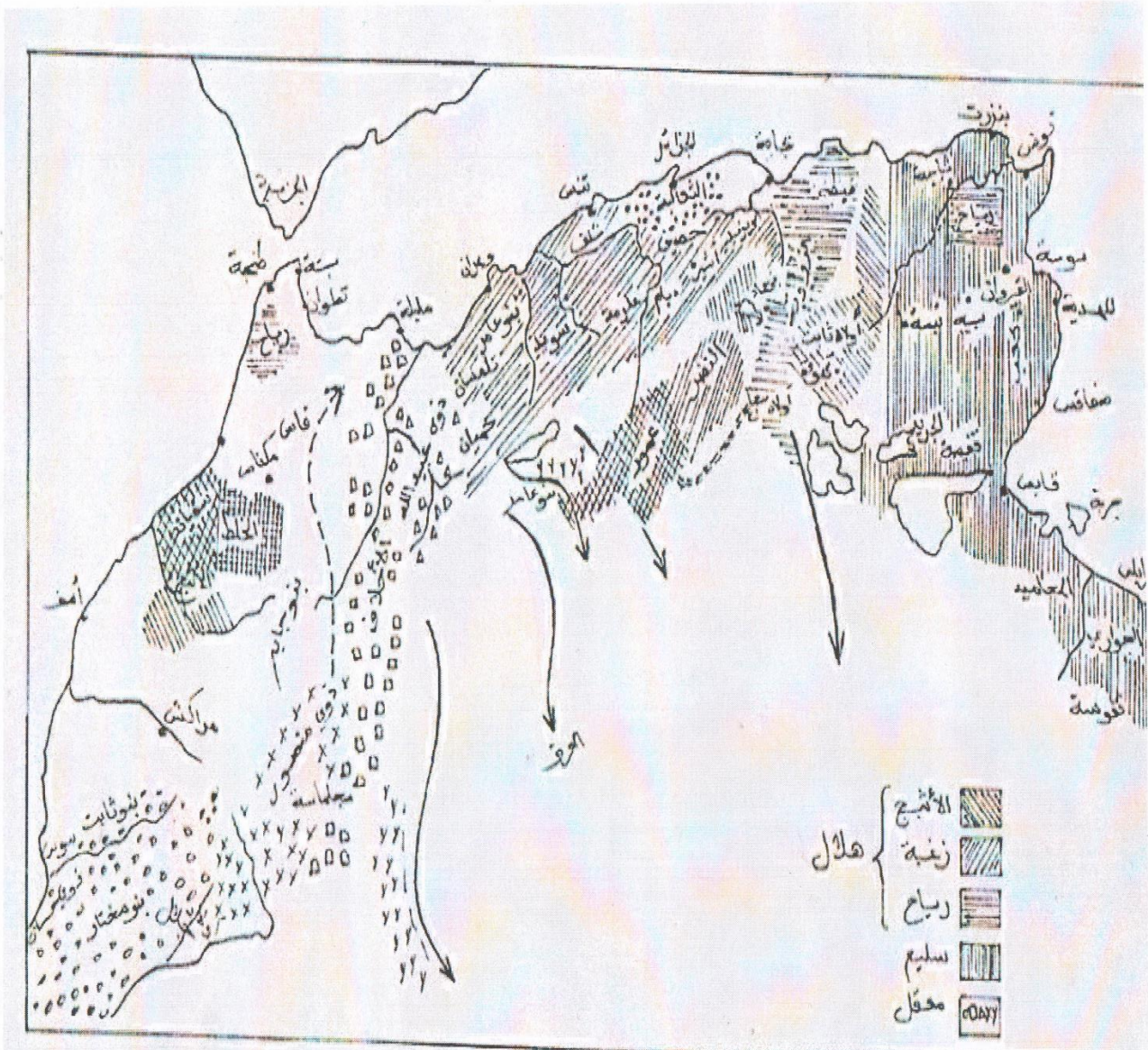
الملحق رقم: 05



نسب المعقل

نقلا عن عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 255.

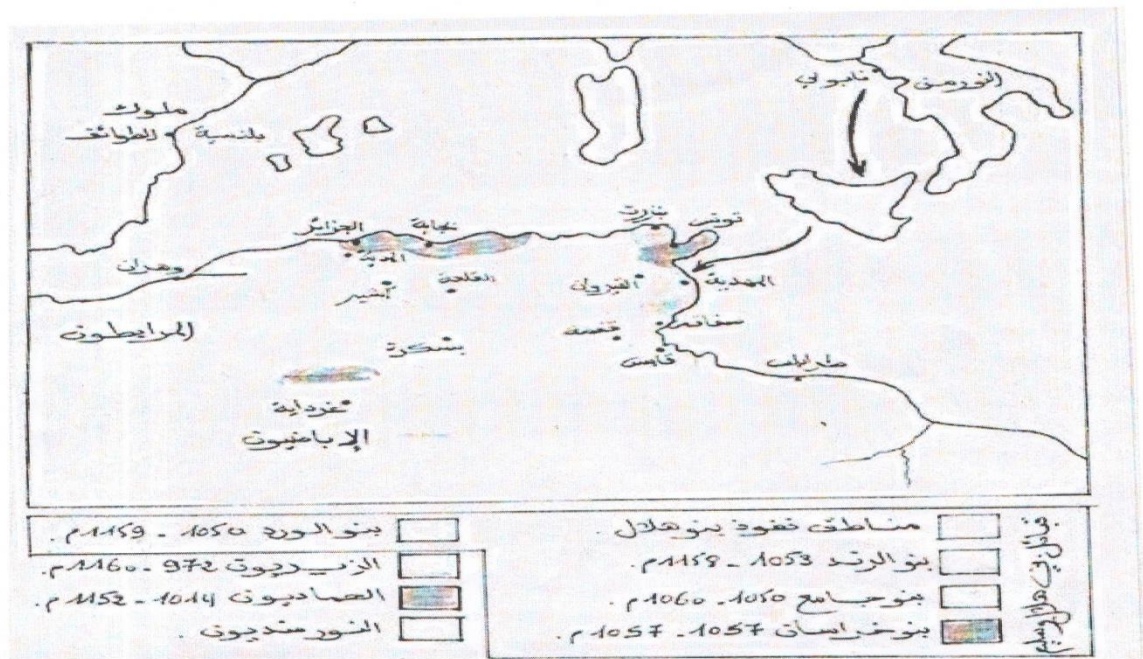
الملحق رقم: 07



توزيع القبائل العربية في بلاد المغرب الأوسط

نقلا عن : عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 259.

الملحق رقم : 08



المغرب الإسلامي بعد التفرقة

نقلا عن : عمار عمورة، المرجع السابق، ص 150.

الملحق رقم: 09

كم فيها من كرام سادة
 متعاونين على الديانة و التقى
 و مهذب جم الفضائل باذل
 وأئمة جمعوا العلوم وهذبوا
 علماء إن ساءلتهم كشفوا العمى
 كانت تعد القيروان بهم إذا
 وزعت على مصر و حق لها كما
 حسنت فلما إذ تكامل حسناتها
 و تجمعت فيها الفضائل كلها
 نظرت لها الأيام نظرة كاشح
 حتى إذا الأقدار حم وقوعها
 أهدت لها فتنا كليل مظلم
 بمصائب من و أشالب
 فتكوا بأمة أحمد أتراهم
 نقضوا العهد و الميراث و أخفروا
 فاستحسنوا غدر الجوار واثروا
 ساموهم سوء العذاب وأظهروا
 و المسلمين مقسمون تنالهم
 ما بين مضطربين معذب
 يستصرخون فلا يغاث صرختهم
 يخرجوا حفاة عائدین برهم

يبيض الوجه شوامخ الإيمان
 لله في الأسرار و الإعـلان
 لنواله و لعرضه صـوان
 سنن الحديث و مشكل القرآن
 بفقاهة و فصاحة و بيان
 عد المنابر زهرة البلدان
 تزوها بهم، وعدت على بغداد
 و سما إليها كل طرف ران
 وغدت محل الأمن و الإيمان
 ترنوا بنظرة كاشح معيان
 و دنا القضاء لـمدة و أوان
 وأرادها كالناطح العبدان
 ممن تجمع من بني دهمـان
 أمنوا عقاب الله في رمضان
 ذم الإله وأم يفوا بضمـان
 سبي الحريم و كشفة النسـوان
 متعسفـين كوامن الأضـفـان
 أيدي العصاة بذلة و هـوان
 ومقتل ظلنا وآخر عـوان
 حتى إذا سئموا من الرنـان
 من خوفهم مصائب الألسـوان

وصف ابن رشيق للقيروان قبل و بعد الهجرة الهلالية

نقلا عن : محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، المرجع السابق ص123.

قائمة المصادر و المراجع:

1) المصادر :

1. ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م)، أعتاب الكتاب،
تح :صالح الاشير، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط1، 1961.
2. // // ،الحلة السيرة،تح : حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر،
القاهرة،1963،ج2 .
3. ابن الأثير الجزري أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/1234م)،الكامل في التاريخ
(389-428هـ) ، محمد يوسف، دار الكتب العلمية، ط2 ، 1995 ، ج7 ، ج8 .
4. // // ،اللباب في تهذيب الأنساب،مكتبة المثنى، بغداد دط ، دت ، ج3.
5. البغدادي عبد اللطيف، الإفادة و الاعتبار في الأمور المشاهدة و الحوادث المعاينة بأرض مصر،
إشراف :عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1998.
6. ابن أبي بكر المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
بريل ليدن المحروسة، دط ، 1877.
7. البلسني محمد العبدري (ت720هـ) ، الرحلة المغربية ،تق :سعد بوفلاقة، منشورات بونه للبحوث
و الدراسات ، الجزائر ، دط ، 2007 .
8. ابن تغري بردى جمال الدين أبي المحاسن الاتابكي (ت874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك
مصر و القاهرة، تع :محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية،لبنان،ط1992،ج5.
9. التيجاني عبد الله بن محمد بن احمد (ت717هـ/1319م)، رحلة التيجاني، تح :حسن حسني عبد
الوهاب ، المطبعة الرسمية، تونس ، دط ، 1958 .
10. أبو جعفر احمد بن عبد الولي البتي البلسني الأندلسي (ت488هـ)، تذكرة الألباب بأصول
الأنساب، تح :محمد مهدي المشوني الخرسني، مؤسسة المواهب للطباعة و النشر، لبنان،ط1 ، 2001 .
11. أبو جعفر محمد بن حبيب، مختلف القبائل و مؤتلفها، تح :إبراهيم الاياري، دار الكتاب المصري
القاهرة ، دط ، دت .

12. ابن حزم الأندلسي محمد بن علي احمد بن سعيد(ت456هـ/1063م)، جمهرة انساب العرب
مرا:عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1 ، 2007 .
13. الحسن محمد الوزان الفاسي (ت944هـ/1537م) ، وصف افريقية، تر :محمد حجي و محمد
الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 2 ، 1983 ، ج 1 ، ج 2 .
14. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي البغدادى (ت626هـ/1228م)،معجم البلدان
دار صادر، بيروت، دط ، 1979 ، ج 1 ، ج 2 ، ج 4 ، ج 5 .
15. الحميري محمد عبد المنعم (ت710هـ/1310م)، الروض المعطار في خبر الأقطار،تح :إحسان
عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ط 2 ، 1980 .
16. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1406م)، تاريخ العبر المسمى ديوان المبتدأ و
الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العلمية
بيروت، ط 3، 2006، ج 4، ج 6.
17. ابن خلكان ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد(ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان و أنباء
الزمان، تح :إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط ، دت ، ج 1.
18. الذهبي شمس الدين بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء،مؤسسة الرسالة
بيروت ، ط 1 ، 1996 ، ج 18.
19. الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم(ت932هـ/1447م)،تاريخ الدولتين الموحديّة و الحفصية
المكتبة العتيقة، تونس ، ط 2 ، 1966 .
20. ابن أبي زرع الفاسي(ت726هـ/1324م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك
المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط ، دط ، 1972 .
21. الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و
المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ، ط 15 ، 2002 ، ج 8 .
22. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الاسيدي الصباغ(ت696هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل
القيروان، تع :أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، المكتبة العتيقة، تونس، دط، دت .
23. السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة،د.م. ط ، دط، 1917، ج 2 .

24. السويدي أبو الفور محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم بيروت ، دط ، دت .
25. ابن عبد الظاهر محي الدين أبو الفضل المصري، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة تح : أمين فؤاد السيد، الدار العربية للكتاب، القاهرة ، ط1 ، 1996 .
26. أبو العباس احمد بن احمد الغبريني، عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح : رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
27. ابن عذارى المراكشي (كان على قيد الحياة 712هـ/1313م)، البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس و المغرب، تح : ج س كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1980، ج1 .
28. ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد .
29. أبو عبد الله محمد أبي العزيز البكري (ت 487 هـ / 1094م) ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، مكتبة المثنى ، بغداد ، دط ، دت .
30. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت597هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 1992، ج3.
31. أبو الفدا عماد الدين (ت732هـ) ، المختصر في تاريخ البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة ط1 ، دت ، ج1 .
32. أبو القاسم بن حوقل (380هـ/990م) ، المسالك و الممالك ، ليدن المحروسة ، مطبع بريل دط، 1873 .
33. ابن قطان المراكشي (ت628هـ/1230م) ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان تح : محمد علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، د.م. ط ، ط2 ، دت .
34. القلقشدي أبي العباس احمد بن علي بن عبد الله (ت821هـ/1418م) ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، تح : إبراهيم الاياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ، ط2 ، 1982 .
35. // // ، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، دت.
36. ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزي، الاكتفاء في أخبار الحلفاء، تح : عبد القادر بوباية دار الكتب العلمية، لبنان ، ط1 ، 2009 .

37. لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م)، أعمال الأعلام فيمن بويق قبل الاحتلال من ملوك الإسلام و ما يتعلق بذلك من كلام، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، دت.
38. // // ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تص: البشير الفورقي التقدم الإسلامية، تونس ، ط1 ، دت .
39. المراكشي عبد الواحد بن علي (ت647هـ/1249م) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب دار الكتب العلمية، لبنان ، ط2 .
40. المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: نجى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، ط1 ، 1990 ، ج1 .
41. المقرئزي تقي الدين احمد بن علي(ت846هـ/1442م) ، اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تح: جمال الشيال، مطابع القاهرة، ط2 ، 1996 ، ج1 ، ج2.
42. // // ، البيان و الإعراب عما بأرض مصر من الأعراب .
43. // // ، المواعظ و اعتبار بذكر الخطط و الآثار، د.م.ط، 1916، ج1.
44. // // ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات و البحوث ، مصر، ط1 ، 2007.
45. عبد الملك بن صاحب الصلاة(ت594هـ/1198م)، تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عهد الموحدين، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، دط ، دت.
46. أبو المنذر هشام بن السائب الكلبي (ت204هـ) ، جمهرة النسب لابن الكلبي ، تح: محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، دط، دت .
47. الناصري أبي العباس شهاب الدين احمد بن خالد بن حماد(ت1315هـ/1897م) ، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، اعتنى به: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط1 ، 2007 ، مج1.
48. النوبخي الحسن بن موسى و سعد بن عبد الله القمي، فرق الشيعة، تح: عبد المنعم الحنفي ، دار الرشاد ، د.م.ط ، ط1 ، 1992.
49. النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب تح: مصطفى أبو ضيف احمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دط ، دت، ج24.
50. ابن هشام المعافري أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، مؤسسة المعارف ،لبنان، ط2 ، 2005.

51. الهمداني محمد بن أبي عثمان الحازمي، عجلة المبتدي و فضالة المنتهي في النسب، تح : عبد الله كنون ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.م.ط ، ط2 ، 1973.
52. اليعقوبي احمد بن أبي يعقوب ابن واضح الكاتب، كتاب البلدان، مطبع بريل، ليدن المحروسة، دط 1860.

(2) المراجع باللغة العربية :

1. احمد عبد الرزاق احمد، تاريخ و آثار مصر الإسلامية من الفتح حتى نهاية العهد الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، دط ، 1999.
2. الأعرج السليماني أبو عبد الله، تاريخ الجزائريين قيام الدولة الفاطمية و نهاية ثورة الأمير عبد القادر ، تح : حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر ، دط ، دت.
3. بدوي عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1971، ج2.
4. بشير رمضان التلسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري- العاشر ميلادي، المدار الإسلامي، لبنان ، ط1 ، ، 2003 .
5. البكر منذر عبد الكريم، دراسات في تاريخ العراق قبل الإسلام -تاريخ الدول الجنوبية في اليمن - ، جامعة البصرة، بغداد، دط، 1980.
6. رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، وزارة الثقافة، الجزائر، دط ، 2007 .
7. بوسماحة عبد الحميد، رحلة بني هلال و خصائصها التاريخية، الاجتماعية و الاقتصادية، دار السبيل، د.م.ط ، دط ، 2005 ، ج1 .
8. بونار رابح، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دط، 1968.
9. بن قربة صالح يوسف، تاريخ مدينتي المسيلة و قلعة بني حماد في العصر الإسلامي، منشورات الحضارة، الجزائر ، ط1 ، 2009.
10. بيبضون إبراهيم، الحجاز و الدولة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1995.
11. جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، د.م.ط ، دط ، 1972 ، ج4 .
12. جمال الدين عبد الله محمد، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة، القاهرة ، دط ، 1991.

13. جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية - تونس الجزائر المغرب الأقصى - من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، تح: محمد مزالي و البشير بن سلامة، د.م.ط، ط2، 1989، ج2.
14. الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، دط، 2010، ج1.
15. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام الديني، الثقافي و الاجتماعي - العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر و المغرب، دار الخيل، بيروت، ط14، 1996.
16. حليمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر (نشأتها و تطورها قبل 1830)، دار الفكر الإسلامي الجزائر، ط1، 1972.
17. حوالة يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح و حتى منتصف القرن 5هـ (90هـ/450م) ، معهد البحوث العلمية ، مكة المكرمة ، ط1 ، 2000 .
18. خالد عبد الحميد، الوجود الهلالي السليمي بالجزائر، دار هومة، الجزائر، دط، ط1، 2000.
19. خيضر حسن، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب 362هـ-567هـ، مكتبة مديولي د.م.ط ، دت، ج1.
20. الدراجي بوزيان ، دول الخوارج و العلويين في بلاد المغرب و الأندلس، دار الكتاب العربي الجزائر، دط، 2007 .
21. دغفوس راضي، دراسات في التاريخ الإسلامي العربي الوسيط، دار الغرب الإسلامي، لبنان ط1 ، 2005 .
22. زكار سهيل، أخبار القرامطة في الأحساء، الشام، العراق، اليمن، نشر: عبد الهادي مرصوفي د.م.ط ، ط1، 1980.
23. الزهراني علي بن محمد، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، أم القرى ، مكة ، دط ، 1996.
24. سالم السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة الأموية، دار النهضة الحديثة، لبنان، دط، دت.
25. سالم السيد عبد العزيز ، المغرب الكبير (العصر الإسلامي) دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية دار النهضة العربية بيروت، دط، 1981، ج2.
26. سرور محمد جمال الدين ، سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي، القاهرة ، دط ، 1967 .

27. سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون و بنو زيري،الصنهاجيون،إلى قيام المرابطين) ،منشأة المعارف، الإسكندرية ، دط، 1990 ، ج3.
28. سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2003.
29. سعدي عثمان، عروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دط، 1982.
30. شملول مصطفى كامل، عروبة مصر من قبائلها، المطبعة العالمية، القاهرة، دط، 1965.
31. صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر و الحجاز زمن الفاطميين و الأيوبيين، العربي للنشر و التوزيع، القاهرة، دط، دت.
32. الصاوي احمد السيد، مجاعات مصر الفاطمية -أسباب و نتائج- دار التضامن، لبنان ، ط1 1988.
33. الصلابي محمد علي، تاريخ دولتي المرابطين و الموحيدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة بيروت، ط2، 2005.
34. طقوس محمد سهيل ، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا، دار النفائس، لبنان ، ط1، 2001 .
35. الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل الدولة الصنهاجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر دط، دت.
36. الطمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، تح :عبد الجليل مرتاض،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
37. العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي للعرب، المغرب، ط1 ، 2007.
38. العبادي احمد المختار، في التاريخ العباسي و الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية دط، 2006.
39. عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.

40. العربي إسماعيل، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر دط، 1980.
41. عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط و المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط ، 2008.
42. عمارة محمد، سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و تأسيس الدولة الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، دط، 1977.
43. عمر موسى عز الدين، الموحدون في الغرب الإسلامي (تنظيماتهم و نظمهم) ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1991.
44. عويس عبد الحليم، دولة بني حماد- صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، ط2 ، 1991.
45. عمورة عمارة ، الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة ، الجزائر، دط، 2009 ، ج2 .
46. الغنيمي عبد الفتاح مقلد، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مديولي، القاهرة، ط1، 1994.
47. قدورة فاطمة الشامي، تطورات تاريخ العرب السياسي و الحضاري، دار النهضة العربية، لبنان ط1، 1997.
48. قلاطي عبد القادر، الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، الجزائر ط1، 2006.
49. كحالة عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة، المكتبة الهاشمية دمشق، دط، 1949، ج3
50. الكعك عثمان، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، المطبعة الكمالية، القاهرة، دط، 1958.
51. لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية- منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، دط، 1979.
52. المانع جابر خليل، الاحواز قبائلها، أنسابها، أمراؤها، شيوخها، أعلامها، الدار العربية للموسوعات لبنان، ط1، 2008.

53. محمد الأخضر ضيف الله ، محاضرات في الحضارة العربية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر دط ، 1982.
54. مرمول محمد صلاح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993.
55. مزهودي مسعود، جيل نفوس منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (21-442هـ)، (642-1053م)، مؤسسة تاولت الثقافية، د.م. ط ، دط، 2003، ج2.
56. مصطفى أبو ضيف احمد، القبائل العربية في عصر الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1982.
57. المعموري عبد الله، تاريخ المغرب و الأندلس، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، ط1، دت .
58. مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، دار الرشاد، د.م. ط ، دط، 2004.
59. مؤنس حسين، تاريخ المغرب و حضارته (من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي) العصر الحديث للنشر و التوزيع، لبنان، ط2، 1983، ج1.
60. الملي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، دت، ج2.
61. الوائلي عبد الحكيم، موسوعة قبائل العرب، دار أسامة، الأردن، ط3، 2009، ج6.
62. واصف بك أمين، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تح: احمد زكي باشا، دار المصري للطباعة، مصر، 1916.
63. ولد دادة محمد، مفهوم الملك في المغرب من منتصف القرن الأول إلى منتصف القرن السابع هجري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1977.
64. يونس عبد الحميد، الهلالية في التاريخ و الأدب.

3) المراجع المترجمة :

1. الفريد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الكتاب للطباعة بنغازي، 1969.

2. برنشفيك روبر ، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م، تر :حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1988، ج1.
3. روجي الهادي إدريس، الدولة الصنهاجية ، تر : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت دط ، دت ، ج1.
4. جورج مارسيه ، بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي خلال العصور الوسطى، تر : عبد الصمد هيكل، مر : مصطفى أبو ضيف احمد، منشأة المعارف ،الإسكندرية ، دط، 1991.
5. مارمول كربخال، إفريقيا، تر :محمد حجي و آخرون، مكتبة المعارف، المغرب، دط، 1984، ج1.

4) المراجع باللغة الأجنبية :

1. Carette E., **origine et migration des principales tribus de l'Algérie** imprimante impériale, Paris.
2. Djaït Hichem, Mohamed Tabi et d'autre, **Histoire Général de la Tunisie(le moyen âge)**, sud éditions, Tunis, tome 2.
3. MERCIER ERNEST, **Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbéric) depuis les temps plus recules jusqu'à la conquête française**, Ernest Lerous éditeur, Paris, 1968.

5) المجلات :

1. بلهوارى فاطمة، التأصيل التاريخي لحركة الموحدين في القرن السابع هجري، مجلة إنسانيات العدد 12، وهران، 2000.
2. رزاق حبيب، مراكز التعليم و مناهجه في العهد الحمادي، مجلة الفكر الجزائري، مخبر المرجعيات الفلسفية و الفنية للتفكير البلاغي و النقدي، الجزائر، 2009، العدد 4 .
3. سلمي عبد الجليل، حضارة العرب في صقلية، مجلة الأمة، العدد27، 1403هـ.
4. الصبان عبد اللطيف، بعض ادوار النساء في البلاطات الموحدية، مجلة المؤرخ الالكترونية، العدد3.
5. إحسان عباس، مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، الأصالة، مج16، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف تلمسان، 2011، العدد41.

6) الجرائد :

- سعد الحافي ، جريدة الرياض، ع 14180 ، 21 أفريل 2007 ، مؤسسة الإمامة الصحفية .

7) الرسائل العلمية :

- بوخالفة غري، تغريبة بني هلال بين التاريخ و الروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 2002-2003.